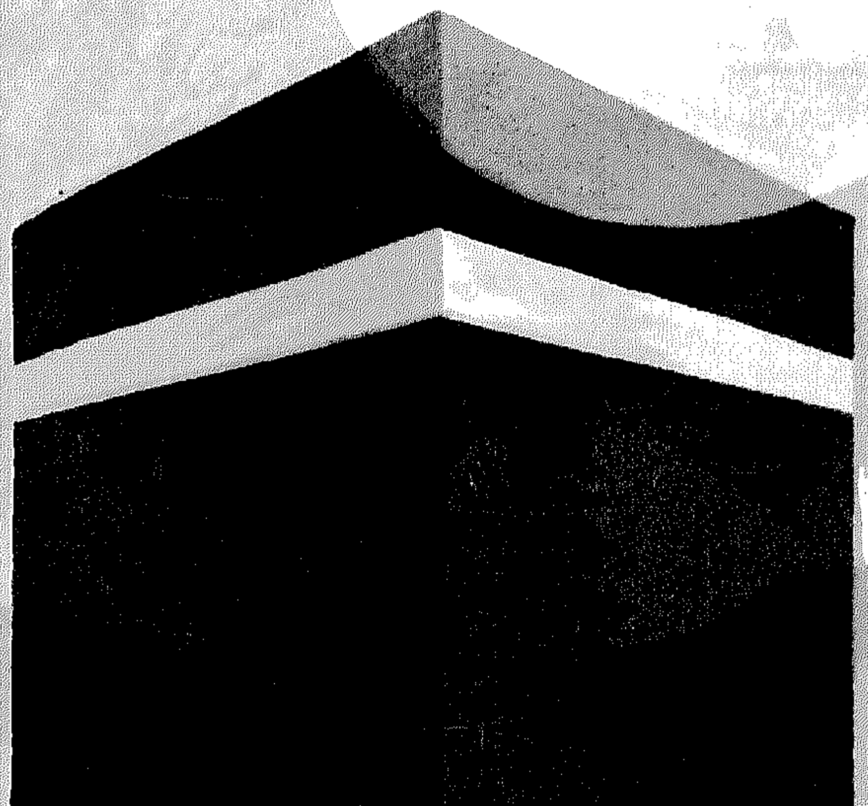
مكة المكرمة

(ومناسك الحج والعمرة)

إعداد
محمد أحمد محمدين

مراجعة
د. عبدالحليم عويس



اهداءات ٢٠٠٢
شركة سوزلر للنشر
القاهرة

مكة المكرمة

(ومناسك الحج والعمرة)

إعداد

محمد أحمد محمدين

مراجعة

د. عبد الحليم عويس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

مكة المكرمة هى مهبط الوحى، وموقع أول بيت وضع للناس فى هذه الأرض ليعبدوا الله تعالى فيه، فهى أطهر بقعة على وجه الأرض، ومهوى أفئدة نحو مليار مسلم يقطنون هذه المعمورة هذه الأيام، حيث يتوجه منهم عدة ملايين من الحجاج والمعتمرين إلى مكة المكرمة سنوياً ليؤدوا فريضة الحج أو يعتمروا أو يزوروا البيت الحرام أو يعتكفوا فيه أو يطوفوا حول الكعبة المشرفة.

ولقد كرم الله تعالى مكة المكرمة يا أبنائى الأحباب- فى كتابه الكريم، وذكرها بأسماء عديدة بلغت أحد عشر اسماً منها: مكة وبكة، والبلد الآمن، والبلد الأمين، والحرم الآمن، وأم القرى وغير ذلك من الأسماء.

لذلك - أحبائى- فإن لمكة المكرمة فضلا وحظا لم تنله أى مدينة أخرى من هذه المعمورة.

وفى الصفحات التالية من هذا الكتاب نحاول- أبناءنا الكرام- أن نوضح لكم ببساطة وبسهولة ويسر تاريخ مكة المكرمة وتطورها

مروراً بالمراحل التاريخية منذ نشـأتها حتى يومنا هذا ، فان كنا قد وفقنا فى ذلك، فهذا بفضل الله تعالى، وإن كان هناك تقصير فهو من عند أنفسنا، ونرجوكم أن تغفروه لنا، وتدعوا الله لنا بالرحمة فهو سبحانه الغفور الرحيم . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وقـد أرفقنا بالكتـاب إضمـامة وجـيزة حـول شعـائر الحج والعمرة ـ ليكـون النفع عاماً بهذا الكتاب الذى يتحدث عن مكة المكرمة وكل مايتصل بها . . . .

والله تعالى من وراء القصد .

محمد أحمد محمدين

القاهرة الإسلامية ـ مدينة ١٥ مايو

مناسك الحج والعمره

شعائر الحج

الحج أحد أركان الإسلام الخمسة ، ويجب على من تتحقق فيه الشروط الآتية :

الإسلام ـ البلوغ ـ العقل ـ الحرية ـ الاستطاعة الماليه والبدنية والأمنية وأعمال الحج مرتبة بعد (النية) هى كالاتى :

١ ـ الإحرام :ـ

وهو ركن من أركان الحج ويُحرم المتمتع من المكان الذى هو فيه (منزله) ، وأما المفرد فيحرم من ميقاته ، ومن ترك الاحرام من الميقات فعليه دم

٢ ـ المبيت بمنى يوم التروية : (الثامن من ذى الحجة)

ويستحب فيه الإكثار من الدعاء والتلبية فى الطريق إلى منى ـ وتصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم المبيت بمنى ولا تخرج حتى تطلع شمس التاسع من ذى الحجة ، ومن ترك شيئا

من ذلك فقد ترك السنة ولا شىء عليه .

٣ ـ الوقوف بعرفة :

ركن الحج الأعظم (يوم عرفة التاسع من ذى الحجة) ومن فاته فلا حج له : ويسن التوجه إلى عرفة بعد طلوع شمس التاسع (يوم عرفة) مع التكبير والتهليل والتلبية .

ووقت الوقوف يبدأ بعد زوال يوم التاسع إلى طلوع فجر العاشر ويكفى الوقوف فى أى جزء من هذا الوقت ، إلا أن من وقف بالنهار وجب عليه مد الوقوف إلى ما بعد الغروب ، ويستحب لاغتسال للوقوف بعرفة ، كما يستحب استقبال القبلة والإكثار من الدعاء والاستغفار وذكر الله .

٤ ـ المبيت بمزدلفة والوقوف بالمشعر الحرام :

يسن الإفاضة أى (الانصراف) من عرفة الى المزدلفة بعد غروب شمس التاسع ، مع التلبية والذكر .

وفى المزدلفة يصلى الحاج (المغرب والعشاء قصرا جمع تأخير . ثم يبيت بها حتى فجر العاشر فيصلى الفجر ثم يأخذ فى

المسير حتى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف فيه (والمزدلفة كلها مكان وقوف إلا وادى محسر) ويذكر الله كثيرا حتى يسفر الصبح جدا . ثم يجمع الحاج الجمرات وعددها سبعون حصوة على الأكثر ، الواحدة فى حجم حبة الفول . ثم يفيض مع الناس حين (ينصرفون) إلى منى قبل طلوع الشمس من اليوم العاشر متوجهين إلى منى مكبرين وملبين .

٥ ـ رمى جميرة العقبة فى يوم النمر : (العاشر من ذى الحجة).

وبعد طلوع شمس اليوم العاشر يرمى الحاج جمرة العقبة (الجمرة الكبرى) بسبع حصيات . والجمرات موجودة فى منى .

٦ ـ ذبح الهدى :

وذلك واجب على القارن والمتمتع ومستحب للمفرد والمعتمر. والهدى لايكون إلامن الإبل أو البقر أو الغنم ، وأقل مايجزىء عن الواحد ، شاه أو سُبْع ناقة أو سُبْع بقرة ، للحاج أن يأكل نصفها ويتصدق بنصفها ، أو يأكل ثلثها ويهدى ثلثها ويتصدق بثلثها الثالث .

٧ ـ التحلل الأول (بالحلق أو بالتقصير) :

وهو بعد جمرة العقبة . ويستحب الحلق للرجل إلا أنه يجوز له التقصير . وأما المرأة فيجزىء لها قص ثلاث شعرات على الأقل.

وبعد هذا التحلل يحل للمحرم كل شئ إلا النساء .

٨ ـ طواف الإفاضة (طواف الركن) :

يسمى أيضا طواف الزيارة ، وهو ركن من أركان الحج ومن لم يفعله بطل حجه .

فبعد التحلل الأول ، يعود المحرم إلى مكة ويطوف بالبيت كما طاف طواف القدوم وأول وقته نصف الليل من ليلة النحر ولاحدّ لآخر وقته ويكره تأخيره لما بعد أيام التشريق (١١/ ١٣ ذو الحجة) ولاشئ على من تأخر . وأفضل وقت له هو ضحى يوم النحر . والمفرد والمتمتع يسعيان بعد الطواف أما القارن فلا يسعى إن كان قد سعى عند القدوم ، وإلاسعى .

وبطواف الإفاضة يتم التحلل الثانى للمحرم وبالتالى يحل

له النساء وكل شئ .

٩ ـ العودة إلى منى والمبيت بها :ـ

وبعد التحلل الثانى يعود الحاج إلى منى فى يوم النحر ويبيت بها ليلتين أو ثلاثا على التخيير ، والمبيت واجب ويلزم بتركه دم .

١٠ ـ رمى الجمار :

وذلك فى أيام التشريق الثلاثة (الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة) ويجوز الرمى فى يومين فقط .

والرمى من الزوال إلى الغروب ويجوز تأخير الرمى الى الليل لعذر ويجوز الإنابة فى الرمى لعذر شرعى كمرض أو سفر.

١١ ـ طواف الوداع :

يعود الحاج إلى مكة بعد الرمى وقبل غروب شمس اليوم الثانى عشر (أو الثالث عشر على التخيير) ليطوف طواف الوداع . وطواف الوداع واجب ، ومن تجاوز الميقات ولم يكن قد طاف وجب عليه دم (أى سُبّع بقرة أو سُبّع ناقة ، أو شاة كاملة) .

العمـــرة

العمرة واجبة مرة فى العمر ، وهى بعد ذلك سنة مؤكدة ، والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهــما ، وأركان العمرة بعد (النية) (فالنية شرط العمل المقبول) ، هى :

١ـ الإحرام :

وهو ركن من أركان العمرة ، ويجب الإحرام من الميقات ، وميقات أهل مصر هى بلدة رابغ (شمال جدة)

وأعمال الإحــرام الواجبة والمستحبــة هى : تقليم الأظافر ـ وحلق الشعر الزائد ـ قص شعر الرأس والأخذ من الشارب ـ الاغتسال ـ تسريح الشعر ـ التطيب ـ لبس ملابس الإحرام البيضاء (وهى غير مخيطة للرجــال ومخيطة للنساء) والتلبية ، وصــلاة ركعتين سنة الإحرام .

وأنواع الإحرام ثلاثة بالنسبة للحاج والمعتمر وهى :

إفراد : يقول : لبيك بحجة ، لمن أراد الحج فقط ويبقى محرماحتى نهاية الحج وليس عليه دم .

قران : يقول : لبيك بحج وعمرة ، وذلك لمن أراد الحج والعمرة معا . ويبقى محرما نهاية الحج ، وعليه دم .

تمتع : يقول : لبيك بعمرة . وهو اعتمار فى أشهر الحج ، ثم حج ويبقى فيه المحرم محرما حتى يعتمر ثم يتحلل ويأتى كل ما حرم عليه بالإحرام . ثم يحرم من مكة بالحج يوم التروية ويقول: لبيك بحج . وعليه دم .

محظورات الإحرام :

لبس الملابس المخيطة أو المحيطة (كالعمامة) إلا للنساء . تقليم الأظافر وقص الشعر ، الطيب بأنواعه ، الجماع وهو قبل التحلل الأول فى الحج مفسد للحج ، مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة ، قتل الصيد البرى المأكول ، قطع شجر الحرم ، تغطية

الراس ولبس الحذاء العالى (البوت) ، المخاصمة والمجادلة واكتساب السيئات ، ولاشيء على من نسى ، وأما العامد فعليه دم إذا أخل بأى شرط .

والطواف واجب للمعتمر ، وللقدوم للحاج المُفرد ، وللمتمتع طواف عمرة

وشروط الطواف هى :

الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر والطواف سبعة أشواط ، ويجوز قطع الطواف للصلاة وغيرها ثم الإكمال ، ويجوز للطائف أن يركب لضعف أو مرض .

وسنن الطواف هى :

استقبال الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التكبير ورفع اليدين . والاضطباع (للرجال فقط) أى جعل وسط الرداء تحت الإبط الأيمن وجمع طرفيه على الكتف الأيسر ، والرَّمْل أى الهرولة فى الثلاثة الأشواط الأولى فقط ، وتقبيل أو استلام (لمس) الحجر الأسود باليد ، واستلام الركن اليمانى وصلاة

ركعتين بعد الطواف فى مقام إبراهيم .

مستحبات دخول المسجد الحرام والطواف :ـ

١ ـ الدخول من باب السلام قائلا :

« أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله وسلم، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك . »

٢ـ عند وقوع النظر على البيت :

« اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرّفه وكرّمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا » . « اللهم أنت السلام ، فحينا ربنا بالسلام . »

٣ـ ثم تقبل الحجر الأسود بغير صوت أو تستلمه(تلمسه) بيدك أو تشير إليه (ولا تجوز المقاتلة على الحجر الأسود فإنها تؤذى الضعفاء) وتقف بحذاء الحجر الأسود وتبدأ الطواف قائلا :

(باسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك

ووفاءً بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم)

٤ ـ وتقول إذا حاذيت الركن اليمانى المقابل للحجر :

(ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

أدعية الطواف :

* سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* اللهم قنعنى بما زرقتنى وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة خيرا .

* ربّ اغفر وارحم واعف وتكرم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ».

وتستحب قراءة القرآن والدعاء بما ينشرح به الصدر

ويستحب بعد الطواف الشرب من ماء زمزم ، مع استحضار

نية الشرب للشفاء ونحوه من طلب خير الدين والدنيا لأن « ماء زمزم لما شرب له » كما جاء فى الحديث ويسنُّ الدعاء عند الملتزم ، وذلك بعد الشرب من زمزم قال ابن عباس : « مابين الركن والباب يدعى الملتزم ، لا يلتزم بينهما أحد يسأل الله شيئا إلا أعطاه الله إياه . »

السعى بين الصفا والمروة

السعى واجب فى العمرة وشروطه

أن يكون بعد الطواف ، وتستحب الطهارة ، والسعى سبعة أشواط مفردة ولا تشترط فيها الموالاة وأن يبدأ السعى من الصفا وينتهى إلى المروة .

التحلل من الإحرام :

والسعى هو آخر أعمال العمرة ، ويتحلل المعتمر والمتمتع فى الحج بالحلق أو التقصير (أو قص ٣ شعرات على الأقل للمرأة) أما الحاج القارن فيبقى على إحرامه ولا يتحلل ولايقضى.

وهناك دعاء مستحب للمودع ورد فيه :

اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخَّرت من خلقك ، وسيرتنى إلى بلادك حتى بلغتنى بنعمتك إلى بيتك ، وأعنتنى على أداء نسكى ، فإن كنت رضيت عنى فازدد عني رضا ، وإلا فارصد عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى ، فهذا أوان انصرافى إن أذنت لى ، غير مستبدل بك ولا ببيتك ، ولاراغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم فأصحبنى العافية فى بدنى والصحة فى جسمى ، والعصمة فى دينى ، وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى ، واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة ، إنك على كل شئ قدير . »

« اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام ، وإن جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة » .

ملحوظات عامة :

١ـ يستحب قبل الإحرام حجا أو عمرة التوبة من المعاصى وردّ المظالم وقضاء الديون .

٢ ـ ويستحب اختيار رفيق السفر ، صالحا محبا للخير معينا عليه.

٣ ـ ويجوز لمن به عجز من مرض أو شيخوخة أن ينيب عنه غيره في العمرة بشرط أن يكون النائب قد اعتمر عن نفسه أولا .

٤ ـ يجوز للحائض والنفساء أن تغتسل وتحرم وتقضى المناسك غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر .

٥ ـ يجوز للمعتمر أن يتاجر ويتكسب وهو يؤدى أعمال العمرة .

٦ ـ المسجد الحرام تحيته الطواف .

٧ ـ من أحصر (أي مُنِع من طواف العمرة أو الوقوف بعرفة أو من طواف الإفاضة) فعليه دم .

الأغسال المسنونة تكون :

للإحرام ولدخول مكة ولطواف القدوم وللوقوف بعرفة وللوقوف بمزدلفة وكل يوم من أيام التشريق لرمى الجمار الثلاثة ولطواف الوداع .

زيارة المسجد النبوى

يسن زيارة المسجد النبوى والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللزيارة آداب منها :

١ـ التطيب والتجمل بالثياب والسكينة والوقار

٢ ـ يسن دخول الروضة الشريفة والصلاة فيها .

٣ ـ يسن السلام على رسول الله عليه السلام بالأثر التالى :

(السلام عليك يارسول الله . السلام عليك يانبى الله ، السلام عليك ياخيرة خلق الله من خلقه . السلام عليك ياخير خلق الله ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك ياسيد المرسلين ، السلام عليك يارسول الله رب العالمين . السلام عليك ياقائد الغر المحجّلين . أشهد أن لا إله إلاّ الله . وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه .

وأشهد أنك قد بلغت الأمانة ، وأديت الرسالة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده .)

٤ ـ ثم السلام على أبى بكر الصديق ، ثم تتأخر أيضا نحو ذراع إلى الجهة اليمنى فتسلم على عمر الفاروق (رضى الله عنهما).

٥ ـ ويسن استقبال القبلة والدعاء للنفس والإخوان والأرحام .

٦ ـ ويسن ألا يرفع الزائر صوته أثناء الزيارة إلا بقدر مايُسْمِعُ نَفْسَه .

٧ ـ ويستحب زيارة مسجد قباء وصلاة ركعتين فيه ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تطهر فى بيته ، وأتى مسجد قباء ، فصلى فيه صلاة ، كانت له كأجر عمرة) .
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(وسعى مشكور وحج مبرور وعمرة مقبولة ودعاء مستجاب بإذن الله)

تاريخ مكة المكرمة

قبل الإسلام

الموقع:

تقع مكة المكرمة عند تقاطع درجتى العرض ٢١/٢٥ شمالا، والطول ٣٩/٤٩ شمالا، ويعتبر هذا الموقع من أصعب التكوينات الجيولوچية(1)، فأغلب صخورها جرانيتية شديدة الصلابة، ويصل ارتفاعها عن سطح البحر إلى أكثر من ثلاثمائة متر.

ويحتضن مكة المكرمة وادى إبراهيم الذى ينحصر بين سلسلتى جبال متقاربة من جهات الشرق والغرب والجنوب.

فالسلسلة الشمالية تتألف من جبل «الفلق» وجبل قعيقعان، والسلسلة الجنوبية تتألف من جبل «أبى حديدة» غرباً، ثم جبل «كدى» باتجاه الجنوب، ثم جبل «أبى قبيس» فى الجنوب الشرقى، ثم جبل «خندمة».

ولمكة المكرمة ثلاثة مداخل رئيسية – حالياً– وهى:

أ– المعلاة: «وتعرف باسم الحجون» وهو الذى يؤدى إلى المقبرة التى تضم رفات الصالحين والمجاهدين فى الحجون.

---

(1) التكوينات الجيولوجية، أى المتعلقة بتكوينات الأرض ونوعية التربة والصخور بها.

ب- مدخل المسفلة: من جهة الجنوب ومنه إلى الحسينية إحدى القرى المعروفة القريبة من مكة.

جـ- مدخل الشبيكة: ومنه إلى التنعيم «أحد حدود الحرم» فطريقى المدينة المنورة وجدة.

وقد تعارف الناس على أن «المعلاة» هى كل ما ارتفع عن مستوى أرض المسجد الحرام، وأن «المسفلة» هى كل ما كان دونه.

وكان وادى مكة فى الماضى السحيق سوقًا للتجارة نظرًا لأنه يقع وسط الطريق بين شمال الجزيرة وجنوبها، فهو بمثابة معبر لمرور القوافل التى كانت تسير رحلتيها المعروفتين فى الشتاء والصيف، أى أن مكة المكرمة كانت مكان تجمع منذ القدم.

بناء الكعبة المشرفة بمكة المكرمة :

تختلف الروايات حول بناء البيت العتيق- الكعبة المشرفة- حتى إن بعض الرواة يرجعون به إلى الزمن الغابر البعيد قبل أن يخلق آدم أبو البشر فيقولون: إن الملائكة عليهم السلام هم الذين تولوا بناءه، ويذهب آخرون إلى أن آدم عليه السلام هو أول من

بناه، ويروون فى ذلك حديثاً يتصل بسند إلى الرسول ﷺ أنه قال: «بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيا لى بيتاً، فخط لهما جبريل، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب، فلما بناه أوحى الله إليه أن يطوف به، وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت، ثم تناسخت القرون حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام»(1).

ويرى الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار أن هاتين الروايتين- بناء الملائكة أنهما غير ثابتين وأنهما على فرض صحتهما ليستا بناءً كاملاً للبيت وإنما هو مجرد تأسيس.

وهناك رواية أخرى لسعيد بن المسيب(2) قال ، قال كعب الأحبار: كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السموات والأرض بأربعين سنة ومنها دحيت الأرض(3) .

---

(1) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسى- جـ ١ ص ٩١ - عن د. محمد الطيب النجار- بحث بعنون أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام.

(2) هو أبو محمد المدنى سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى سيد التابعين، ولد قبل خلافة عمر بن الخطاب بأربع سنوات، ومات سنة ٩٤ هـ.

(3) عن كتاب عرف الطيب فى أخبار مكة والمدينة للعاقولى ص ٢٦ تحقيق د. محمد

وفى رواية أخرى عن ابن عباس يوضح فيها سبب تسمية مكة المكرمة بأم القرى، فيقول: لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض بعث الله ريحاً هفافة فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة فى موضع البيت كأنها قبة، فدحا الله تعالى الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها الله تعالى بالجبال، فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى(1)

وفى حديث ينقله الليث بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: هذا البيت خامس خمسة عشر بيتاً منها فى السماء إلى العرش، وسبعة منها إلى تخوم الأرض السفلى وأعلاها الذى يلى العرش، البيت المعمور، لكل بيت منها حرم كحرام هذا البيت، لو سقط منها لسقط بعضها على بعض إلى تخوم الأرض السفلى، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت(2) .

ومن الروايات الأخرى التى تؤكد أن أبانا آدم هو أول من وضع أسس الكعبة المشرفة بمعاونة الملائكة الأبرار.. مارواه عبد الله بن

---

(1) المرجع السابق – ص ٣٦

أبي زياد حيث قال: لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة قال: يا آدم ابن لي بيتاً بحذاء بيتي الذى فى السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي، فهبطت عليه الملائكة، فحفر حتى بلغ الأرض السابعة، فقذفت فيها الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الأرض، وهبط آدم عليه السلام بياقوته حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض، فوضعها على الأساس، فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق* فرفعها الله سبحانه وتعالى(1).

ونحن نرى - أبناءنا الأحباب - كما يرى أستاذنا الدكتور محمد الطيب النجار أن بناء الملائكة وسيدنا آدم أبى الأنبياء للكعبة المشرفة قد اقتصر على الأساس الذى بقى حتى أقام عليه سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام البيت بعد ذلك.

وبناء إبراهيم وولده الكعبة المشرفة لاشك فيه، إذ يقرره القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت**

(1) المرجع السابق - ص ٣٩ .

(*) الغرق الذى جاء نتيجة الطوفان الذى أغرق قوم نبى الله نوح عليه السلام.

واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾[2].

حج آدم عليه السلام ودعاؤه لذريته :

ولقد حج أبونا آدم عليه السلام إلى البيت العتيق، فعن أبي المليح[1] قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول: حج آدم عليه السلام فقضى المناسك، فلما حج قال: أى رب إن لكل عامل جزاء، قال الله تعالى: «أما أنت يا آدم فقد غفرت، وأما ذريتك فمن جاء منهم البيت فباء[2] بذنبه غفرت له. فحج آدم فاستقبلته الملائكة بالردم.. فقالت : برّ حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام.. قال فما ذاكنتم تقولون حوله؟ قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.. فكان آدم إذا طاف يقول هؤلاء الكلمات، وكان طواف آدم عليه السلام سبعة أسابيع بالليل وخمسة أسابيع بالنهار [3] .

خليل الله إبراهيم وإبنه إسماعيل في وادي مكة:

بعد موت أبينا آدم عليه السلام بنى بنوه من بعده بيتاً بالطين

---

(1) هو عامر بن أسامة بن عمير الهذلي.. توفي سنة ٩٨ هـ.

(2) باء اى اعترف .

(3) عن عرق الطيب- مرجع سابق - ص ٣١ .

والحجارة مكان الخيمة التى عزى بها آدم عليه السلام من حلية الجنة، ولم يزل هذا البيت معموراً يعمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام.

وكيف وصل إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام إلى وادى مكة وهو من العراق؟

يكاد يجمع المؤرخون- أبنائى الأفاضل- على أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام نشأ فى بلاد العراق بين قوم يتخذون الأصنام آلهة من دون الله، وقد دعاهم إبراهيم إلى توحيد الله وعبادته، وعاش الخليل صلوات الله وسلامه عليه فترة طويلة معهم دون أن يرزقه الله تعالى بولد من زوجته سارة، فحملتها شفقتها على زوجها إبراهيم وحبها له على أن تهب له جاريتها «هاجر» وقالت له: «إنى حرمت من الولد فعسى الله أن يرزقك منها غلاماً تقر به عينك».

ولقد حقق الله تعالى آمال إبراهيم وزوجته سارة فحملت هاجر وولدت إسماعيل، وكان أبوه إبراهيم فى السادسة والثمانين من عمره.. ولحكمة جليلة أرادها الله عز وجل أذن لإبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إلى وادى مكة، وكان وادياً مجدباً لا زرع فيه ولا ثمر،

وألقى الله فى نفسه السكينة والطمأنينة بأن الله سينبت لهما الفرج من الضيق، ويسوق إليهما الخير من أيسر طريق، ويستجيب لدعائه ورجائه حيث قال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[1]

وقد بدأت البشائر على الفور فاستجاب الله دعاء خليله إبراهيم، فانبثق الماء من تحت أقدام إسماعيل، وجاد الصخر الأصم بالماء العذب فكانت بئر زمزم، وكان الحرم الآمن الذى تهوى إليه أفئدة الناس ويجبى إليه ثمرات كل شيء.

بنو جرهم والخزاعيون في مكة:

بعد أن انهدم سد مأرب هاجر بنو جرهم من بلاد اليمن واستقروا فى واد قريب من مكة، ولما تفجر ماء زمزم المبارك لزمت الطير الوادى حين رأت الماء، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى قالوا: مالزمته إلا وفيه ماء، فجاءوا إلى هاجر وقالوا لها: لوشئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك.. فكانوا معها حتى شب إسماعيل

(1) سورة إبراهيم – آية ٣٧ .

(2) د. محمد الطيب النجار – مرجع سابق.

وتزوج منهم فكانت ذريته منهم هى العرب المستعربة(2) .

إبراهيم وإسماعيل يرفعان قواعد الكعبة المشرفة:

عن عثمان بن ساج قال: بلغنا والله تعالى أعلم أن إبراهيم خليل الله تعالى، عليه السلام، عرج به إلى السماء، فنظر إلى الأرض مشارقها ومغاربها فاختار موضع الكعبة.. فقالت له الملائكة: ياخليل الله: اخترت حرم الله فى الأرض. قال: فبناه من حجارة سبعة أجبل وقيل خمسة، وكانت الملائكة تأتى بالحجارة إلى إبراهيم عليه السلام من تلك الجبال.

وتقول رواية أخرى عن محمد بن إسحاق أنه لما أمر إبراهيم خليل الله سبحانه وتعالى أن ينى البيت الحرام أقبل من أرمينية على البراق معه السكينة لها وجه يتكلم، وهى بعد ريح هفافة، ومعه ملك يدله على موضع البيت حتى انتهى إلى مكة وبها إسماعيل - عليه السلام- وهو يومئذ ابن عشرين سنة، وقد توفيت أمه هاجر قبل ذلك ودفنت فى موضع الحجر، فقال يا إسماعيل إن الله عز وجل أمرنى أن أبنى له بيتاً.. فقال له إسماعيل : أين موضعه.

فأشار الملك إلى موضع البيت، فقاما- إبراهيم وإسماعيل- يحفران عن القواعد، ليس معهما غيرهما، فبلغ إبراهيم الأساس، أساس آدم عليه السلام الأول، فحفر عن ربض في البيت فوجد حجارة عظيمة ما يطيق الحجر منها ثلاثون رجلا، ثم بنى على أساس آدم الأول وتطوقت السكينة كأنها حية على الأساس الأول. وقالت يا إبراهيم: ابن علي، فبنى عليها، فلذلك لايطوف بالبيت أعرابي نافر ولا جبار إلا بانت عليه السكينة.

فبنى إبراهيم وولده البيت، وجعلا طوله في السماء سبعة أذرع، وعرضه في الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الركن الأسود إلى الركن الشامي الذي عند الحجر من وجهه، وجعلا عرض ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي الذي فيه الحجر اثنين وعشرين ذراعاً، وجعلا طول ظهرها من الركن الغربي إلى الركن اليماني ثلاثين ذراعاً.. وعرض شقها اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعاً.. لذلك سميت الكعبة لأنها على خلقة الكعب(1) .. وكذلك كان أساس آدم عليه السلام.

وجعل إبراهيم باب الكعبة بالأرض غير مبوب، حتى كان تبع

---

(1) عن عرف الطيب- مرجع سابق - ص ٣٦. (2) المرجع السابق- ص ٣٦ .

الجميرى هو الذى جعل لها بابا وغلقاً فارسيا، وكساها كسوة تامة ونحر عندها(2).

وجعل إبراهيم عليه الحجر إلى جنب البيت عريشاً من أراك تقتحمه العنز فكان زرباً لغنم إسماعيل عليه السلام..

وحفر إبراهيم عليه الصلاة والسلام جباً فى بطن البيت على يمين من دخله، يكون فى خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى للكعبة وهو الجب الذى نصب عليه- بعد ذلك- عمرو بن لحى «هبل» الصنم الذى كانت قريش تعبده- قبل الإسلام- يستقسم عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة.

وكان إبراهيم عليه السلام يبنى وينقل له إسماعيل الحجارة على رقبته، فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله إسماعيل فى نواحى البيت حتى انتهى إلى موضع الركن الأسود.

قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام يا إسماعيل أبق حجراً أضعه هاهنا يكون للناس علماً يبتدئون منه الطواف، فذهب إسماعيل يطلب له حجراً ورجع، وقد جاءه جبريل عليه السلام

بالحجر الأسود، وكان الله تعالى استودع الركن أبا قبيس حين غرّق الله تعالى الأرض زمن نوح عليه السلام، وقال: إذا رأيت خليلي يبني بيتي فأخرجه له، فجاءه إسماعيل فقال له : يا أبت من أين لك؟ قال: جاءني به من لم يتكل إلى حجرك، جاء به جبريل عليه السلام، فلما وضع جبريل الحجر في مكانه وبنى عليه إبراهيم عليه السلام، وهو حينئذ يتلألأ تلألؤاً من شدة بياضه فأضاء نوره شرقاً وغرباً ويميناً وشمالا.. فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم.

وترجع شدة سواد الحجر الحالية- أبنائي الأحباب- إلى أنه أصابه الحريق مرة بعد مرة في الجاهلية والإسلام.

حريقه في الجاهلية والإسلام.

فأما حريقه في الجاهلية، فإنه ذهبت امرأة في زمن قريش تجمر الكعبة فطارت شرارة في أستار الكعبة فاحترق الركن الأسود، واسود وتوهنت الكعبة، وكان الذي هاج قريشاً على هدمها وبنائها.

وأما حريقه في الإسلام، ففي عصر ابن الزبير أيام حاصره

(1) المرجع السابق- ص ٣٨ .

الحصين بن نمير الكندى، احترقت الكعبة، فاحترق الركن، فتفلق بثلاث فلق حتى شد شعبه ابن الزبير بالفضة، فسواده يرجع لذلك(1).

حج إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأذان إبراهيم بالحج:

بعد أن انتهى خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام من بناء الكعبة «البيت الحرام» جاءه جبريل عليه السلام فقال له: طف به سبعاً، فطاف به سبعاً هو وإسماعيل؛ يستلمان الأركان كلها فى كل طواف.. فلما أكملا سبعاً.. صليا خلف المقام ركعتين، ثم قام جبريل عليه السلام ليرى إبراهيم المناسك كلها، الصفا والمروة ومنى ومزدلفة وعرفة..

فلما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمرة العقبة.. فقال له جبريل عليه السلام: ارمه، فرماه إبراهيم عليه السلام بسبع حصيات فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل عليه السلام: ارمه، فرماه بسبع حصيات أخرى فغاب عنه إبليس، ثم مضى إبراهيم عليه السلام فى حجه وجبريل يوقفه على المواقف، ويعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة.. فلما

انتهى إليها قال له جبريل عليه السلام: أعرفت مناسكك؟

قال إبراهيم نعم.. «ومن هنا سميت عرفات بذلك».

ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج. فقال له إبراهيم: يارب وما يبلغ صوتى؟ قال الله سبحانه وتعالى: «أذن وعلى البلاغ».. فعلا على المقام فأشرف به حتى صار أرفع الجبال وأطولها، فجمعت له الأرض يومئذ، سهلها وجبلها وبرها وبحرها وإنسها وجنها حتى أسمعهم جميعاً، فأدخل أصبعيه فى أذنيه وأقبل- إبراهيم عليه السلام- بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وبدأ بشق اليمن فقال: أيها الناس كتب الله عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم، فأجابوه من تحت التخوم السبعة، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلها، لبيك اللهم لبيك[1] ، وكانت الحجارة على ماهى عليه اليوم إلا أن الله أراد أن يجعل المقام آية فكان أثر قدمه فى المقام إلى اليوم.

وأثر قدمي إبراهيم عليه السلام فى المقام آية، وذلك قوله تعالى:

(1) لذلك يقول الحجاج إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة: لبيك اللهم لبيك ، لأن كل من يحج هو ممن أجاب إبراهيم عليه السلام.

«فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً»(2).

وإستمر بعد ذلك إبراهيم عليه السلام يحج كل سنة على البراق إلى أن لقى ربه، وحج بعده الأنبياء والأمم.

مكة المكرمة مستقر الأنبياء:

ولم تكن مكة المكرمة- أبنائى الأحباب- أطهر بقعة على وجه الأرض قاطبة، وأطهر تراب تطؤه قدم إنسان فى هذا الوجود، والتى تحوى فوق ترابها البيت الحرام، والتى ولد بها المصطفى صلى الله عليه وسلم رسول الله محمد بن عبد الله- لتكتفى بهذا الفضل العظيم والشرف العالى الرفيع فقط، بل إنها- إضافة إلى كل هذه المكارم التى جعلت لها الصدارة والفخر والعظمة على مدن العالم كله- كانت مستقراً للأنبياء.

وروى عن محمد بن سابق عن النبى ﷺ أنه قال: كان النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة المكرمة فيتعبد فيها النبى ومن معه حتى يموت فيها، فمات بها نوح وهود و شعيب وصالح، وقبورهم بين زمزم والحجر(1).

خدمة المسجد الحرام:

(1) المرجع السابق- ص ٤٤ .

نعود بعد ذلك إلى الكعبة وخدمة زوار بيت الله الحرام، فنقول إنه بعد أن رفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قواعد البيت الحرام كانت لهما ولأولادهما السيادة والقيادة، وكان أمر المسجد الحرام فى أيديهم منذ أذن إبراهيم فى الناس بالحج وأصبح البيت الحرام مثابة للناس وأمناً.

لكن الزمن الدوار قضى على بنى إسماعيل بالتخلف والضعف، فانتزع أخوالهم الجراهمة السلطة من أيديهم.. وظلت السلطة للجراهمة قرابة ألف عام، غير أنهم طغوا وبغوا، واستحلو احرمة البيت، وظلموا من دخل مكة من الحجاج وغيرهم، وأكلوا مال الكعبة المشرفة الذى يهدى إليها، وارتكبوا الآثام والمنكرات إلى جوار البيت المحرم؛ فأهلكهم الله بذنوبهم، ولحق بهم الدمار والوبال فأخرجهم الخزاعيون من مكة.. وأصبحوا كما قال شاعرهم:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى.. نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

وكان الخزاعيون قد هاجروا من اليمن، واستقروا فى مكة إلى

جوار الجراهمة. فلما رأوا ما حل بهم من فساد وضعف وانحلال انتهزوا هذه الفرصة واستولوا على النفوذ والسلطان.. وظلوا سادة مكة المكرمة، وظل أمر المسجد الحرام في أيديهم زهاء مائتي سنة قبل أن يدركهم داء الأمم، ويقلب الدهر لهم المجن.. واستطاع زعيم قرشي من بني إسماعيل أن يحاربهم وينتصر عليهم ويعيد نفوذ أجداده القديم وسلطانهم، وهذا الزعيم هو قصي بن كلاب، وهو الجد الرابع للرسول ﷺ .

قريش تتجمع حول الكعبة المشرفة :

بدأ عهد جديد من النمو والازدهار لبني إسماعيل منذ رجعت السلطة، والنفوذ إلى قصي بن كلاب، بعد أن ظلوا أمداً طويلاً في ضعف وركود يكاد يشبه الموت.

ولقد كان أول ما فعله قصي هو أن جمع أفراد قريش المبعثرين في نواح متعددة إلى وادي مكة، وجعل لكل بطن منهم حياً خاصاً على مقربة من الكعبة، فاستحق بذلك لقب «المجمِّع».

وكان الناس قبل ذلك لايجرءون على البناء بجوار الكعبة مبالغة في تقديسها، لكن قصياً أراد بتجميع قريش حولها أن يجعلهم

حماة لها يتعهدونها بالصيانة ويدفعون عنها الخطر، وقد توارث أبناؤه هذا المجد والسلطان حتى جاء من أحفاده عبد المطلب بن هاشم، وهو الجد الأول للرسول محمد ﷺ .

عام الفيل والطير الأبابيل:

ولما كان عام الفيل، وهو العام الذى ولد فيه محمد بن عبد الله نبى الله عليه الصلاة والسلام وخاتم المرسلين، وقعت الآية الكبرى الخالدة على الدهر، وهى الآية التى حمى الله تعالى بها البيت الحرام من عدوان الظالمين وظلم المعتدين، حيث أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.. وقد أورد الله تعالى ذلك فى سورة الفيل وذكره فى قرآن تعهد سبحانه وتعالى بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

فلقد أرسل الله تعالى على هؤلاء المعتدين طيوراً من البحر أمثال الخطاطيف.. مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لاتصيب منهم أحدا إلا أهلكته، وأصيب جيش الظلم والعدوان بالذعر وجعلوا يتساقطون بكل طريق، وأصيب أبرهة الحبشى قائد الجيش فى جسده فظل لحمه يتساقط ويتناثر حتى انصدع صدره عن قلبه، وكانت

نهايتة الأليمة عبرة وعظة أمام القرون والأجيال.

وهكذا حمى الله بيته المحرم من عدوان الطغاة وبغيهم لأنه البيت العتيق الذى كان مصدر الهدى والنور منذ رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلما تغيرت الأحوال، وعبد العرب الأصنام وتركوا النور وتخبطوا فى الظلام، شاء الله أن لا يطول عليهم الأمدفى هذه الظلمات، وأرادبهم الخير فحمى البيت من عدوان الأحباش ليعود إليه مجده التليد، ويتلألأ النور فيه من جديد على يدى نبى الإسلام محمد بن عبد الله الذى ولد فى هذا العام، ثم بعثه الله بعد ذلك هداية ورحمة للعالمين.

قريش تعيد بناء الكعبة :

عندما كان الرسول ﷺ فى الخامسة والثلاثين من عمره، أى قبل بعثته عليه السلام بخمس سنوات، لأنه ﷺ بعث وهو فى الأربعين من عمره، كما تعرفون أيها الأحباب، تصدعت جدران الكعبة المشرفة، وتهدم عرشها، وذكر المؤرخون عدة أسباب لهذا

---

(1) د. محمود محمد مزروعه- بيت الله الحرام بين إبراهيم وحفيده محمد ﷺ بحث فى مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين- المركز العام لجمعيات الشباب المسلمين

الدمار الذى تعرض له أول بيت وضع للناس منها (1).

ـ١ أن امرأة كانت تقوم بتبخير الكعبة، فطار من وعاء بخورها شرارة نار فأمسكت بكسوة الكعبة المشرفة فأحرقتها واحترقت الكعبة وضعف بناؤها.

ـ٢ أن السيل الجارف الذى اجتاح مكة آنذاك قد دخلها فصدع بنيانهاو بخاصة بعد الضعف الذى أصابها من الحريق الذى سبق ذكره.

ـ٣ أن نفراً دخلوا الكعبة فسرقوا حليها وكنوزها التى كانت قريش تضعها فيها، فأرادت قريش أن تبنى الكعبة وأن ترفع بابها عن مستوى الأرض حتى لا يدخلها إلا من شاءوا.

بعد ذلك اجتمعت قبائل قريش وناقشوا أمر هدم الكعبة ليرفعوها ويجددوها، لكنهم خافوا من هدمها لمكانتها فى قلوبهم، فقال لهم أحد زعمائهم: أتريدون بهدمها الإصلاح أم الإمارة؟ قالوا: بل نريد الإصلاح. قال: إن الله لا يهلك المصلحين، وشرع بهدم فتبعوه.

وعندما هموا ببنائها قال ناصحهم: يا معشر قريش لاتدخلوا فى

بنيانها من كسبكم إلا طيباً، لاتدخلوا فيها مهر بغى ولابيع رباً ولامظلمة لأحد من الناس.

وقسمت قبائل قريش بناء الكعبة فيما بينهم، فاختصت كل قبيلة أو أكثر بجانب من جوانب الكعبة المشرفة يقومون ببنائه، وذلك لما يرون فى ذلك من شرف لايماثله شرف، يبقى على مدى الدهر كله، ولما عزموا أمروا بالحجارة أن تجمع، وكان رسول الله ﷺ يحمل الحجارة وينقلها معهم.

ولقد روى الشيخان «البخارى ومسلم» عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ والعباس رضى الله عنه ينقلان الحجارة.. فقال العباس للنبى ﷺ! اجعل إزارك على رقبتك يقك الحجارة، وكان ذلك قبل بعثة النبى عليه الصلاة والسلام، فخر إلى الأرض فطمحت عيناه إلى السماء فقال: إزارى ازارى فشده عليه. وفى رواية: فسقط مغشياً عليه، فلم ير بعد ذلك عرياناً.

أى أن رسول ﷺ ظهرت عورته أثناء مشاركته فى حمل الحجارة لإعادة بناء الكعبة المشرفة قبل بعثته، ولم تظهر عورته عليه الصلاة والسلام بعد ذلك على أحد أبداً.

ولما تم بناء الكعبة ثمانية عشر ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله تسعة أذرع وراء الباب عن الأرض بحيث لايصعد إليه إلا بدرج؛ أرادوا وضع الحجر الأسود فى موضعه، فاختلف أشراف قريش فيمن يضعه، وتنافسوا فى ذلك حتى كادت تنشب بينهم نار الحرب، ودام هذا الخصام والخلاف بينهم أربعة أيام.. وكان أبو أمية بن المغيرة المخزومى، عم خالد بن الوليد سيف الله المسلول، أكبرهم سناً وأرجحهم عقلا فقال لهم: يا قوم، لاتختلفوا وحكموا بينكم من ترضون بحكمه، فقالوا: نكل الأمر لأول قادم علينا فكان هذا القادم هو الصادق الأمين محمد بن عبد الله- ﷺ - فقالوا: هذا الأمين رضيناه.. فلما أخبروه الخبر وضع الحجر- ﷺ- بيده الشريفة وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى وضعه، فأخذه ﷺ ووضعه فيه.

وهكذا انتهت - أبنائى الأحباب- هذه المشكلة التى كادت توقع بطون قريش فى حرب مدمرة لايعلم مداها إلا الله، بحكمة الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام..

وقد بنت قريش دورها حول الكعبة المعظمة، وفتحت أبوابها

تجاهها، وتركوا للطائفين مقدار المطاف، وجعلوا بين كل دارين من دورهم طريقاً فيه باب يسلك منه إلى المطاف، وجعلوا دورهم مدورة، ولم تكن مربعة الشكل حتى لايكون بينها شبه وبين الكعبة فى شكل البناء، وجعلوا ارتفاع تلك الدور أقل من ارتفاع الكعبة.

كسوة الكعبة في الجاهلية:

لأن الكعبة- أحبابى- هى بيت الله تعالى الحرام، وأول بيت وضع ليعبد الناس الله فيه فى هذه الأرض، فقد قدسها الناس منذ إنشائها، وحاولوا التعبير عن إجلالهم وتقديرهم لها بصور شتى، منها كسوة الكعبة.

ويقال إن أسعد الحميرى هو أول من كسا الكعبة فى الجاهلية.. لذلك روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه نهى عن سب أسعد الحميرى، ويسمى (تبع) لأنه كان أول من كسا الكعبة.

وعن محمد بن إسحاق قال: بلغنى عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع، وهو أسعد، أُرِيَ

فى النوم أنه يكسو ها فكساها الأنطاع- وهو الجلد- ثم أُرِىَ أنه يكسوها فكساها الوصايل (حبرة من عصب اليمن) وجعل لها بابًا يغلق.

وفى رواية أخرى: كانت قريش والجاهلية تداوم على كسوة الكعبة، فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى ابن كلاب، حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان يختلف إلى اليمن يتجربها، فأثرى فى المال فقال لقريش: أنا أكسو وحدى الكعبة سنة، وجميع قريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات.

***

الفصل الثاني

مكة المكرمة

«بعد الإسلام»

قبل بعثة النبى المصطفى ﷺ تعالى عليه وآله وصحبه وسلم، كانت قريش قد جعلت من بيت الله الحرام بمكة المكرمة بيتاً للأصنام، فكانت الأصنام تحيط به من الخارج، وتملأ جوفه من الداخل، وتعلو سقفه من فوق.. وجعل المشركون بيت الله الحرام بيتاً للأصنام يعبدونها فيه من دون الله.

وظل بيت الله الحرام، أول بيت وضع ليعبد الناس فيه الله تعالى فى الأرض، فى أيدى المشركين والوثنيين إلى أن أذن الله تعالى أن يطهر من ذلك الرجس من الأوثان، فبعث محمداً عليه الصلاة والسلام، فخاصمه قومه وطردوه من مكة المكرمة، فهاجر إلى المدينة.. ثم فتح الله تعالى عليه مكة المكرمة ودخلها ﷺ، واتجه إلى الكعبة لحينه، حيث كانت الأصنام تحوطها وتملأ جوفها وسقفها - كما سبق وذكرنا يا أحبابى - وذكرت بعض كتب التاريخ أنه كان فى الكعبة المشرفة آنذاك ثلاثمائة وستون صنماً، فأمر الرسول ﷺ بتحطيمها فحطمت.

وكان ﷺ يدفع هذه الأصنام بعود فى يده قائلا الآية الكريمة: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا» فكانت الأصنام

تقع على أدبارها.

وبذلك تمكن رسول الله ﷺ من تطهير البيت الحرام من الأوثان والأصنام والشرك بعد فتح مكة، وجعله خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى.

أما من ناحية وضع الكعبة المشرفة والمطاف والدور التى بنتها قريش حول الكعبة، وأبوابها التى فتحتها تجاهها والمقدار الذى ترك للمطاف، والطريق الذى تركوه بين كل دارين من هذه الدور كطريق فيه باب يسلك منه إلى المطاف، وجعلهم دورهم هذه مدورة غير مربعة الشكل حتى لايكون بينها شبه وبين الكعبة فى شكل البناء، وكذلك انخفاض هذه الدور عن الكعبة المشرفة من حيث الارتفاع، وقد سبق وذكرنا طريقة بناء قريش هذه فى الجزء الخاص بتجديد قريش لبناء الكعبة قبل البعثة النبوية فى الفصل السابق... فقد بقى الوضع فى الكعبة والمطاف حولها على هذه الصفة فى زمن النبى ﷺ وزمن أبى بكر الصديق، فكان المسجد الحرام هو المطاف الذى حول الكعبة حتى جاء زمن عمر بن الخطا ب رضى الله عنه فكانت أول توسعه للمسجد الحرام على يديه.

ويذكر الرواة فى هذه التوسعة أن سيلا عظيماً أصاب مكة المكرمة فى السنة السابعة عشرة للهجرة النبوية المباركة، ودخل المسجد واقتلع مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام من موضعه، وذهب به إلى أسفل مكة المكرمة.. فأعاده المسلمون وألصقوه بالبيت الحرام مرة أخرى.

وعلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بما حدث، وهو بالمدينة فهاله الأمر، وجاء مسرعاً إلى مكة المكرمة، ودخلها محرماً لعمرة فى شهر رمضان المبارك، ووقف على حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو ملصق بالبيت الشريف.. ثم تساءل عن شخص يعرف الموضع الذى كان فيه مقام إبراهيم، فقال المطلب بن أبى وداعة السهمى: أنا يا أمير المؤمنين، عندى مقياسه فى البيت، فجىء به، ووضع الحجر الذى هو مقام إبراهيم فى موضعه الذى هو فيه الآن (2).

---

(1) د. محمد الطيب النجار- أضواء على المسجد الحرام بين الجاهلية والإسلام- بحث فى مؤتمر- مرجع سابق ص ٦٥ بتصرف .

(2) تاريخ البلد الحرام لعبد الكريم القطبى- عن د. الطيب النجار- يرجع سابق .

التوسعة الأولى للبيت الحرام:

ظل المسجد الحرام فى صدر الإسلام على حاله الأخير الذى كان عليه بعد إعادة بناء قريش له، كما سبق وذكرنا، حيث لم يكن له جدران تحيط به وإنما كانت دور قريش محيطة به من كل جانب، غير أن بين الدور أبواباً يدخل منها الناس إلى المسجد.

ولما كان زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين ضاق المسجد برواده من المعتمرين والحجاج والمعتكفين، نظراً لتزايد عدد الداخلين فى الإسلام، واتساع رقعة الدولة الإسلامية نتيجة للفتوحات التى شملت الشرق والغرب آنذاك اشترى الخليفة عمر بن الخطاب الدور التى حول المسجد من أصحابها، وهدمها، وأمر ببناء جدار قصير دون القامة أحاط بالمسجد[1].

توالي عمليات توسعة البيت الحرام وتعميره بعد عمر بن الخطاب:

وبعد زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، توالى

(1) شفا الغرام للفاسى وتاريخ البلد الحرام للقطبى- عن د. النجار. المرجع السابق.

تعمير المسجد الحرام وتوسعته، تبعاً للظروف التى كانت تقتضى ذلك.. فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ازداد سكان مكة المكرمة وظهر فى ذلك ضيق المسجد على المصلين، فاشترى عثمان رضى الله عنه دوراً من التى تجاور المسجد الحرام وهدمها وأدخل أرضها فى المسجد الحرام توسعة له، وكان ذلك سنة ٢٦ هجرية.. وجعل للمسجد أروقة مسقوفة، وكان قبل ذلك مكشوفاً غير مسقوف.

وفى عهد عبد الله بن الزبير، كانت هناك توسعة وعمارة أخرى للمسجد الحرام، حيث اشترى ابن الزبير دوراً كثيرة، وسقف المسجد، وزاد فيه زيادة كبيرة، وتم ذلك سنة ٦٥ هجرية.

ولما كانت خلافة عبد الملك بن مروان أمر بعمارة المسجد الحرام فرفع جداره وسقفه بالساج، وجعل على رأس كل أسطوانة مثقالاً من الذهب، وجاء بعده ابنه الوليد بن عبد الملك، فأمر بتوسيع المسجد الحرام، وأتى بالأساطين الرخام من مصر والشام، وسقف المسجد بالخشب الساج المزخرف، وكانت توسعة الوليد للمسجد الحرام من الجهة الشرقية، وتمت سنة إحدى وتسعين هجرية.

وفى خلافة أبى جعفر المنصور العباسى، أمر عامله على مكة المكرمة بزيادة توسيع المسجد الحرام، وذلك فى سنة ١٣٧ هجرية فزاد فى توسعة المسجد من ثلاثة جوانب، وكان أبو جعفر أول من ألبسه بالمرمر من داخله وخارجه وأعلاه.. وقد استمر العمل فى المسجد ثلاثة أعوام كاملة.

وجاء المهدى بن أبى جعفر المنصور فزاد فى المسجد ووسعه من جوانبه الأربع، وأنفق فى توسعته أموالا طائلة؛ لأنه اشترى الدور المجاورة بأضعاف ثمنها، ونقل إليه أحجار الرخام والأعمدة الكبيرة الرخامية من الشام.

ولقد دام المسجد على عمارة أمير المؤمنين المهدى العباسى من سنة مائة وتسع وستين إلى سنة تسع وسبعين وتسعمائة هجرية.. أى أنه استمر لأكثر من ثمانمائة عام وهو فى أكمل زينته، لم يذهب بهاؤه، ولم يتغير رونقه وزخرفه، وظل يكافح صدمات السيول العظيمة ويصارع الأنواء المتقلبة فى قوة وصلابة هذا الزمن الطويل.

وفى سنة تسع وسبعين وتسعمائة هجرية، ظهر أن الرواق الشامى من المسجد الحرام مال إلى نحو الكعبة الشريفة، بحيث برزت

خشب السقوف منه عن محل تركيبها فى جدار المسجد، فصدر أمر السلطان العثمانى سليم خان بالمبادرة إلى بناء المسجد جميعه، وأن يجعل عرض السقف قبباً دائرة بأروقة المسجد الحرام ليؤمن تآكله.

فقد كان متآكلا من جانب طرفيه، وكان يحتاج بعض السقف إلى تبديل خشبه بخشب آخر بين الحين والحين، وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين، وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور، فكان من حسن الرأى تبديلها بالقباب لتمكنها، ثم تتابع السلاطين من آل عثمان فى إكمال هذا التعمير وتمكينه، حيث كان السلطان سليم خان قد توفى قبل الإتمام، وتولى بعده السلطان مرادخان، فأصدر أمره بالإسراع فى انجاز العمل وإكماله حتى تم سنة ٩٨٤ هجرية.

ولا تزال عمارة السلطان سليم وابنه مراد باقية حول المسجد الحرام إلى يومنا هذا(1)، ومن يشرفه الله تعالى منكم يا أحبابى بزيارة بيته الحرام سيرى هذه العمارة وهى تحيط بالكعبة المشرفة،

---

(1) تاريخ البلد الحرام للقطبى- عن الدكتور محمد الطيب النجار- مرجع سابق

فيما يلى المطاف مباشرة، وتليها بعد ذلك التوسعة السعودية الهائلة التى سنذكرها فى صفحات قادمة من هذا الكتاب.

معالم بارزة فى المسجد الحرام:

أبنائى الأحباب، هناك العديد من المعالم البارزة فى المسجد الحرام التى ينبغى عليكم أن تعرفوها. كجزء من تاريخكم الإسلامى الذى يزيد من ارتباطكم بعقيدتكم وبلادكم.

وفى هذه السطور سنحاول - أبناءنا الكرام- أن نلقى الضوء على بعض هذه المعالم مثل- كسوة الكعبة فى الإسلام منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، وعلى الحجر الأسود أو الأسعد وأصله وما قيل فيه، ثم على باب الكعبة المشرفة، وعلى مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وبعض المعالم الأخرى الواقعة فى مكة المكرمة .

كسوة الكعبة في الإسلام وطيبها:

كسوة الكعبة- أبنائى الأفاضل- مظهر من أهم مظاهر الاهتمام والتشريف للبيت الحرام، وقد بدأت عملية كسوتها فى الجاهلية، كما سبق وذكرنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب.

وقد اختلفت درجات الاهتمام بكسوة الكعبة المشرفة عبر

العصور المختلفة منذ بدء الإسلام، إلى أن تم إنشاء مصنع خاص بالكسوة فى عهد الأسرة السعودية الحاكمة فى المملكة العزبية السعودية التى تضم بين أرجائها الحرمين الشريفين.

فبعد فتح مكة المكرمة أبقى رسول الله ﷺ على كسوة الكعبة ولم يستبد لها حتى احترقت على يد امرأة كانت تريد تبخيرها، فكساها الرسول ﷺ بالثياب اليمنية، ثم كساها بعده الخلفاء الراشدون رضوان الله تعالى عليهم بنوع من النسيج يسمى القباطى.

ويروى عن ابن المهاجر أن النبى ﷺ خطب الناس يوم عاشوراء فقال عليه الصلاة والسلام: هذا يوم عاشوراء يوم تقضى فيه السنة، وتستر فيه الكعبة، وترفع فيه الأعمال، ولم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن أحب منكم أن يصوم فليصم(1) .

ويروى عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبى حبيبة عن أبيه قال: كسى البيت فى الجاهلية الأنطاع، ثم كساه النبى ﷺ الثياب اليمانى، ثم كساه عمر وعثمان رضى الله عنهما القباطى، ثم كساه الحجاج الديباج، ويقال أول من كساه الديباج يزيد بن

(1) عن كتاب عرف الطيب فى أخبار مكة والمدينة مرجع سابق – ص ٥٣ .

معاوية، ويقال ابن الزبير رضى الله عنهما، ويقال عبد الملك بن مروان، «أول من خلق جوف الكعبة ابن الزبير»(1) .

وعن حبيب بن ثابت قال كسا النبى ﷺ الكعبة، وكساها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كسوة البيت على الأمراء.. وقالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره(2) .

وتؤكد لنا هذه الروايات الصحيحة أن عملية كسوة الكعبة.. يا أحبائى- من السنة وليست بدعة مستحدثة.. فقد فعلها الرسول ﷺ ثم التابعون من بعده وتابعو التابعين، كما أنه يجوز التبرك بكسوة الكعبة القديمة والانتفاع بها فيما ليس فيه إهانة لقطعة قماش تشرفت بالبقاء على الكعبة المشرفة عاماً كاملاً.

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان ينزع كسوة البيت الحرام فى كل سنة، فيقسمها على الحجاج فيستظلون بها على السمر بمكة المكرمة(3) .

---

(1) عن المرجع السابق ص ٥٥ - والقباطى والديباج هى أنواع من النسيج .

(2) نفس المرجع السابق ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

(3) عن عرف الطيب- المرجع السابق- ص ٥٦ .

وفى عهد الدولة الأموية كان معاوية بن أبى سفيان يكسو الكعبة مرتين كل عام بالديباج يوم عاشوراء، وبالقباطى فى آخر شهر رمضان، ثم كساها كل من يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان بالديباج، فتراكمت الكسوات على الكعبة(1) حتى خشى المسلمون من أن يؤدى ثقل الكسوات إلى تهدم بنائها... فلما حج الخليفة المهدى العباسى سنة مائة وستين للهجرة، أمر بألا يبقى عليها سوى كسوة واحدة، وهو المتبع إلى الآن.

أما الخليفة المأمون فقد كان يكسو الكعبة المشرفة ثلاث مرات فى العام بالديباج الأحمر يوم الثامن من ذى الحجة، والقباطى البيضاء فى أول رجب، وبالديباج فى التاسع والعشرين من رمضان.

ثم كساها الناصر العباسى وهو معاصر لصلاح الدين الأيوبى ثوبًا أخضر ثم أسود، ومنذ ذلك التاريخ احتفظوا باللون الأسود للكسوة. والناصر العباسى هذا هو أول حاكم مصرى سعى إلى

---

(1) لأنهم كانوا عندما يضعون الكسوة الجديدة يضعونها فوق القديمة ولاينزعونها عن الكعبة.

كسوة الكعبة المشرفة بعد زوال الدولة العباسية، ثم كساها الملك المظفر أحد ملوك اليمن عام تسعة وخمسين وستمائة للهجرة واستمر يكسوها بالتناوب مع ملوك مصر(1) .

وحين انضم الحجاز إلى الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية، كانت الحكومة المصرية هى التى تتولى صنع الكسوة وإرسالها فى موكب عظيم يليق بجلالها كان يعرف فى مصر- آنذاك- باسم «موكب المحمل»، وكان الإنفاق على صنع هذه الكسوة يتم من الأوقاف التى وقفت لهذه الغاية وليس من خزانة الحكومة المصرية .

الكسوة في عهد الأسرة السعودية :

وتدخلت السياسة فى أمر إرسال الكسوة، فحدثت موانع أدت إلى عدم وصول الكسوة من مصر فى موعدها المحدد إلى البيت الحرام... فأصدر المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود الذى كان يكرس جهوده لخدمة ورعاية الحرمين الشريفين، أمراً فى شهر محرم من عام ١٣٤٦ هـ بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة

(1) معظم هذه المعلومات عن صحيفة الرياض السعودية- العدد رقم ٩٣٤١ الصادر فى ٩ شعبان ١٤١٤ هـ ٢٠ يناير ١٩٩٤ م - الصفحة السابعة.

الكعبة، وتوفير كل ما يحتاج إليه العمل. وتم إفتتاح مصنع كسوة الكعبة فى منتصف العام نفسه.

وتم إنتاج أول كسوة للكعبة المشرفة فى أم القرى، ليصبح هذا الشرف العظيم للملكة العربية السعودية.. واستمر المصنع حتى عام ١٣٥٧ هـ ينتج ثوب الكعبة المشرفة.

ورغبة فى إتقان هذا العمل وإظهاره بالصورة التى تتلاءم مع قدسية الكعبة المشرفة، أصدر المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله أمراً ملكياً بتجديد مصنع الكسوة فى عام ١٣٩٢ هـ.

وفى العام ١٣٩٢ هـ نفسه- ١٩٧٢ م - وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل السعودية حجر الأساس للمصنع الجديد، وكان إذ ذاك نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للداخلية.

وانتهى العمل فى بناء المصنع فى ١٢ ربيع أول من عام ١٣٩٥هـ- ٢٥ مارس ١٩٧٥ م- وبعد استكمال الفترة التشغيلية التجريبية للمصنع الجديد، افتتحه الملك فهد الذى كان قد أصبح ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس الوزراء إذ ذاك يوم ٧ ربيع

آخر ١٣٩٧ هـ - ٢٦ مارس ١٩٧٧ م - ويقع هذا المصنع فى منطقة ـ أم الجود بمكة المكرمة، وهو مزود بأحدث ماكينات النسيج الآلية، وأحدث قسماً للنسيج الآلى مع الإبقاء على أسلوب الانتاج اليدوى لماله من قيمة فنية عالية.. ومازال المصنع يواكب عجلة التطور لينتج كسوة البيت العتيق فى أبهى صورها.

صفات الكسوة الحالية:

تتميز الكسوة التى تغطى جدران الكعبة المشرفة فى الوقت الراهن يا أحبائى بأنها تنسج من الحرير الطبيعى الخالص المصبوغ باللون الأسود، وقد نقش عليه بطريقة تسمى «الجاكارد» عبارات تقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله جل جلاله، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم».

ويبلغ ارتفاع ثوب الكعبة المشرفة أربعة عشر متراً، ويوجد بالثلث الأعلى منه حزام الكسوة بعرض خمسة وتسعين سنتيمتراً، كتبت عليه آيات قرآنية مختلفة بالخط الثلث المركب، محاطة بإطار من الزخارف الإسلامية، ويطرز الحزام بتطريز بارز مغطى بسلك فضى مطلى بالذهب، ويحيط الحزام بالكسوة كلها، ويبلغ طوله سبعة وأربعين متراً، ويتألف من ست عشرة قطعة.

كما توجد تحت الحزام وعلى الأركان سورة الإخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية، وعلى الإرتفاع نفسه.. ويوجد بالحزام ست آيات من القرآن الكريم مكتوب كل منها داخل إطار منفصل، ويوجد فى الفواصل بينهما شكل قنديل مكتوب عليه «يارحمن يارحيم.. الحمد لله رب العالمين».

وكل ما تحت الحزام مكتوب بالخط الثلث المركب، ومغطى بالأسلاك الفضية المطلية بالذهب، وقد استحدث وضع هذه القطع فى العهد السعودى الزاخر.

البرقع «ستارة باب الكعبة»:

البرقع هو ما يسمى ستارة باب الكعبة، وهى مصنوعة من قماش الحرير الأسود، وارتفاعها ستة أمتار ونصف وعرضها ثلاثة أمتار ونصف، ومكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية مطرزة تطريزاً بارزاً، مغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب، وتبطن الكسوة كلها بقماش خام متين، بما فى ذلك ستارة الباب. وتتكون كسوة الكعبة المشرفة من خمس قطع، تغطى كل واحدة منها وجهاً من أوجه الكعبة الشريفة الأربعة، والقطعة الخامسة هى

الستارة التى توضع على الباب.. ويتم تجميع هذه القطع الأربعة بتوصيلها معاً على الكعبة المشرفة نفسها بعد خلع الثوب القديم سنوياً.

مراحل صناعة الكسوة:

تمر صناعة كسوة الكعبة الشريفة- أحبائى- بخمس مراحل هامة هى:

-١ مرحلة الصباغة: وفى هذه المرحلة تتم صباغة الحرير الخام على هيئة (شلل) باللون الأسود أو الأحمر أو الأخضر حسب المطلوب.. وذلك عن طريق استخدام آلات حديثة خاصة، بالاضافة إلى أجهزة كمبيوتر تقوم بتنظيم هذه العملية.

-٢ مرحلة النسيج: وهى التى تتم فيها عملية تحويل هذه الشلل المصبوغة إلى قماش حرير سادة ليطبع ثم يطرز عليه الحزام أو الستارة، أو إلى قماش حرير (جاكارد)، وهو المكون لقماش الكسوة نفسها.

-٣ مرحلة الطباعة: وفيها تتم طباعة جميع الخطوط والزخارف الموجودة بالحزام أو الستارة على القماس بطريقة طباعة تسمى

(السلك سكرين) تمهيداً لتطريزها.

- ٤ مرحلة التطريز: وهى أطول المراحل فى تصنيع الكسوة حيث يتم تطريز كل هذه الخطوط والزخارف تطريزاً يدوياً عن طريق استخدام أسلاك الفضة والذهب حتى تبدو تحفة فنية رائعة .

- ٥ مرحلة التجميع: وفى هذه الخطوة الأخيرة من مراحل تصنيع الكسوة يتم تجميع قماش من الجاكارد ليشمل جوانب الكسوة الأربعة، ثم تثبت عليه قطع الحزام والستارة تمهيداً لتركيبها فوق الكعبة المشرفة.. كما أن مصنع الكسوة الشريفة بمكة المكرمة يقوم حالياً وبعد إدخال ماكينات النسيج الآلى للخدمة فيه بانتاج عمل ثوب الكسوة الخارجى بشكل أكثر دقة وإتقاناً، وعمل ستارة داخلية للكعبة المشرفة بنفس الدقة والإتقان. وعمل ستارة خاصة للحجرة النبوية الشريفة بدرجة عالية من الجودة، وعمل قماش حرير أسود سادة لصناعة الحزام والهدايا المطرزة، وعمل قماش أبيض وأخضر سادة لبطانة ثوب الكعبة وستارتها، بالإضافة إلى قيامها بتصنيع ثوب احتياطى كامل.

ونسيت أن اذكر لكم- أبنائى الأحباب- أنه يكتب على القطع الأربعة التى تشمل جوانب الكعبة المشرفة آيات قرآنية، أما القطعة

الخامسة، فهى قطعة إهداء، يكتب عليها مكان وتاريخ صنع الكسوة، واسم خادم الحرمين الشريفين.. والعبارة المكتوبة على الكسوة الآن هى: «صنعت هذه الستارة فى مكة المكرمة وأهداها إلى الكعبة المشرفة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود».

تكلفة كسوة الكعبة:

تبلغ تكلفة كسوة الكعبة السنوية هذه يا أبنائى حوالى سبعة عشر مليون ريال سعودى.. حيث يستهلك الثوب الواحد حوالى أربعمائة وخمسين كيلو جراماً من الحرير، ومسطح النسيج ستمائة وثمانية وخمسون متراً مربعاً، ويتكون من سبع وأربعين طاقة قماش، طول كل منها أربعة عشر متراً بعرض تسعين سنتميتراً ، أما القطع الذهبية المثبتة على ست عشرة قطعة، جميع أطوالها حوالى سبعة وأربعين متراً وعرضها خمسة وتسعون سنتيمتراً.. بالإضافة إلى أربع قطع توضع على الأركان، وست قطع تحت الحزام، وقطعة الإهداء، وأحد عشر قنديلاً موضوعة بين أضلاع الكعبة الأربعة.

أما ستارة الكعبة فيبلغ طولها ستة أمتار ونصف فى ثلاثة أمتار

ونصف، ومشغولة جميعها بآيات قرآنية من السلك الذهبى والفضى.

وتتم عملية تسليم الكسوة المشرفة لسدنة بيت الله الحرام في حفل خاص تقيمه وزارة الحج السعودية فى موسم الحج من كل عام، ويتم فيه تسليم الكسوة لكبير سدنة البيت الحرام فى حضور عدد من المسئولين ورؤساء الدوائر الحكومية السعودية.

وسنحاول أن نوضح لكم- أحبابنا- بعض مراحل صناعة الكسوة والمنظر العام للكسوة المشرفة من خلال الصور التالية.

باب الكعبة المشرفة:

يعتبر باب الكعبة المشرفة يا أحبابى واحداً من المعالم البارزة فى المسجد الحرام، ومن التحف الإسلامية النادرة، حيث صنع بابها الحالى من الذهب الخالص، ونقش وزخرف بزخارف إسلامية.. وكتبت عليه بالخط العربي آيات قرآنية وأسماء الله الحسنى، وهو مصنوع من مائتين وثمانين كيلو جراماً من الذهب الخالص عيار 999%، بلغت قيمتها عند تصنيعها حوالى ثلاثة عشر مليوناً وأربعمائة وعشرين ألف ريال سعودى.

ولقد تمت صناعة الباب الحالي للكعبة المشرفة فى مكة المكرمة بأمر من الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله، وتم تركيبه عام ١٣٩٩ هـ.

وللكعبة المشرفة بابان، باب خارجي وباب داخلي.. وارتفاع باب الكعبة يبلغ ثلاثة أمتار، وعرضه متران، وعمقه نصف متر، ومكون من ضلفتين، والباب مصنوع من طبقة من الخشب سمكها عشرة سنتيمترات، وخشبه من نوع خاص يتحمل الحرارة والأمطار والصفائح الذهبية ملصقة عليه.

وللكعبة المشرفة خلف الباب الخارجي باب آخر اسمه باب التوبة.

وأول من وضع باباً على الكعبة فى العصر الجاهلى هو تبع الحميرى ملك حمير، قبل الهجرة النبوية الشريفة بمائتى عام.. وكان هذا الباب لاصقاً بالأرض، وعندما عمرت قريش الكعبة فى السنة الخامسة والثلاثين من مولد الرسول ﷺ رفعت باب الكعبة عن الأرض، حتى لاتدخل السيول إليها.

وعندما أعاد عبد الله بن الزبير رضى الله عنه بناء الكعبة

... عل لها بابين، أحدهما في الشرق والآخر في الغرب.

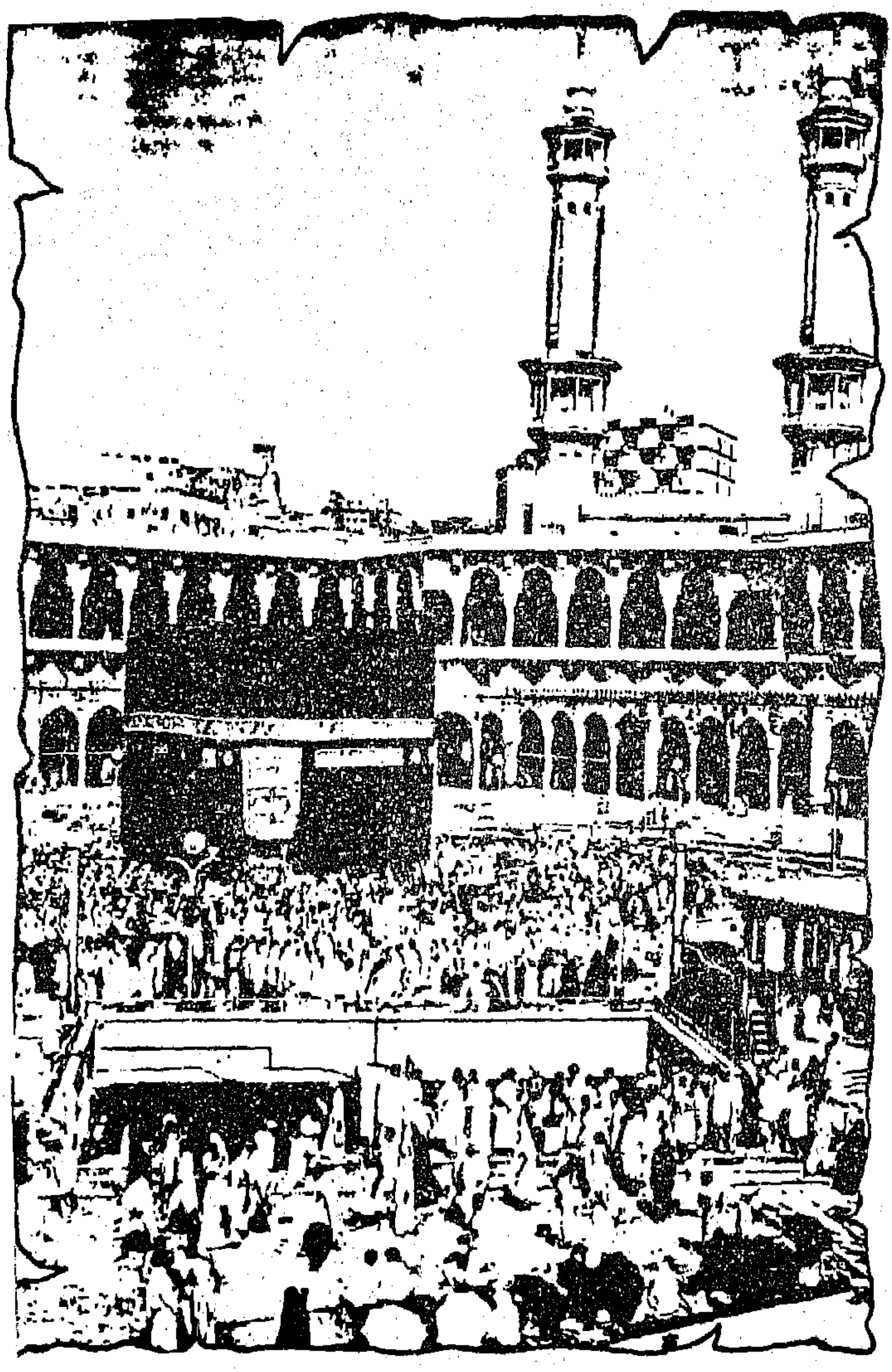
في سنة ... هجرية، في عمارة الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان، سد الباب الغربي، ورفع الباب الشرقي عن الأرض.

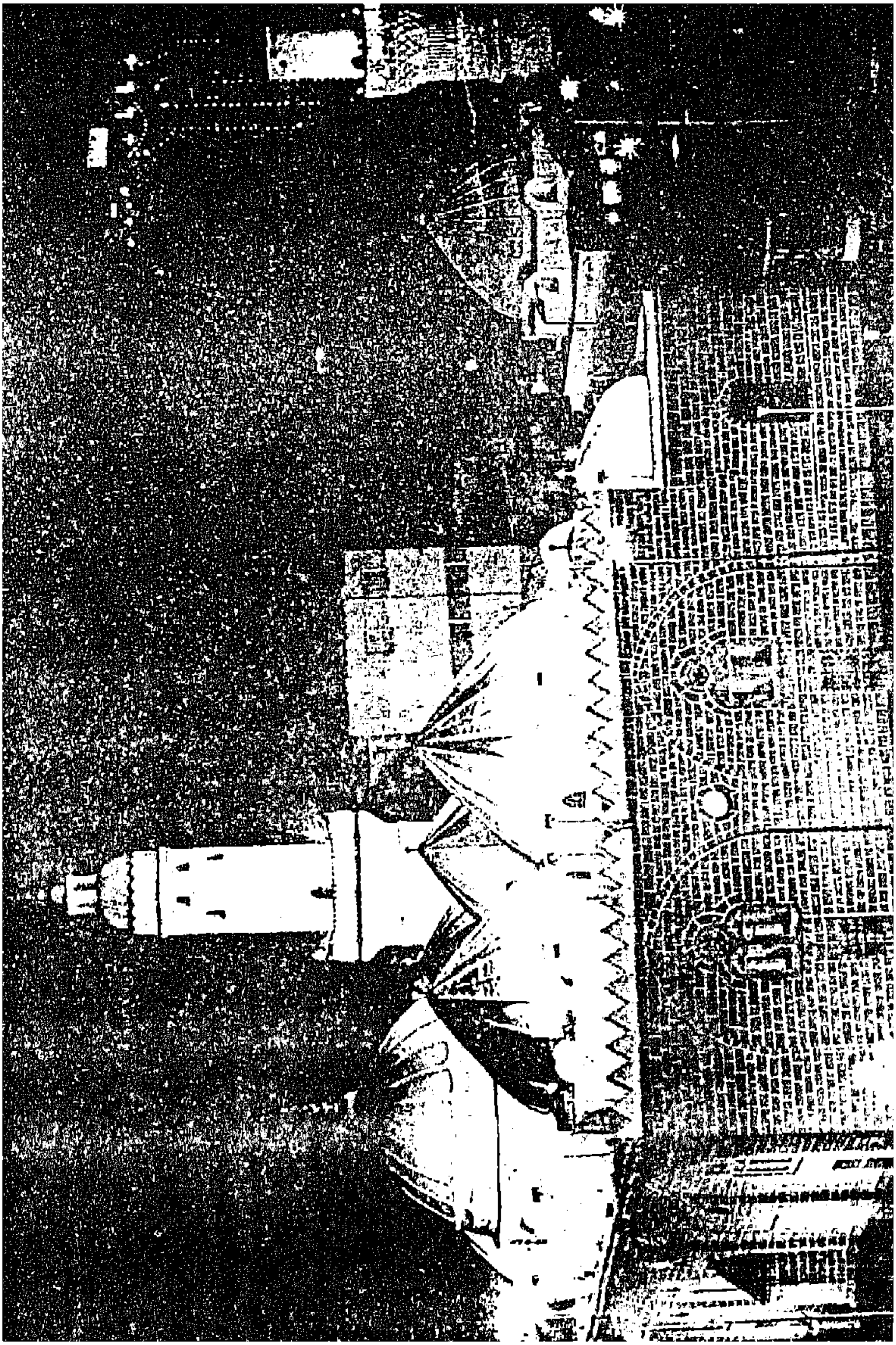
وفي ... الوليد بن عبد الملك وضعت لأول مرة الصفائح الذهبية في الباب لأول مرة، وأنفق على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار.

... عباسي أرسل الخليفة محمد الأمين بن هارون ... ألف دينار لتزيين باب الكعبة.

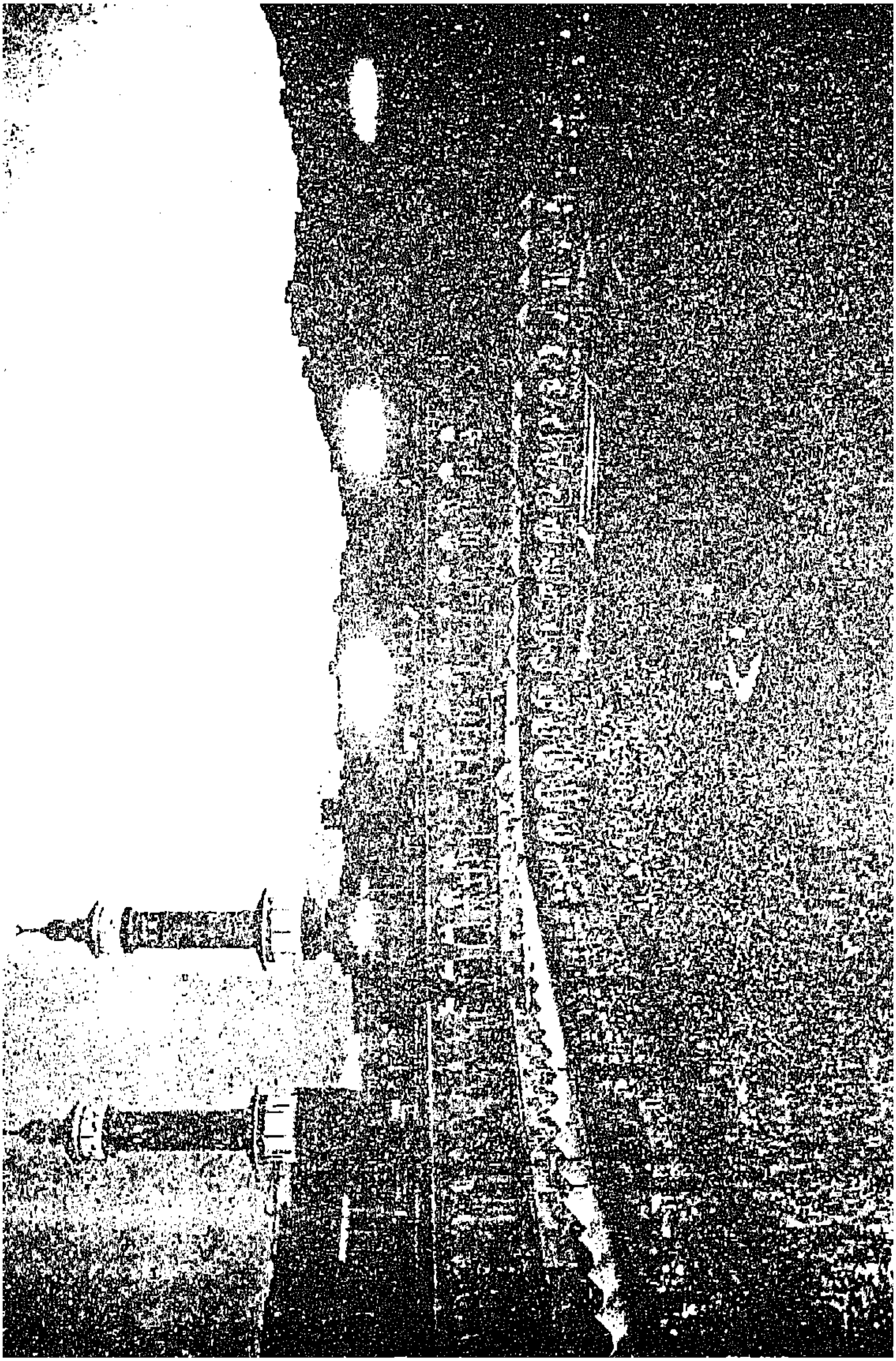
وفي سنة ... هجرية وضع باب جديد للكعبة في عهد المقتضي لأمر الله، وفي سنة ٧٣٣ هـ صنع ... محمد بن قلاوون باباً جديداً للكعبة المشرفة مزيناً ... إليه السلطان سليمان القانوني العثماني زخارف ...

وفي سنة ... ١٠ هجرية صنع السلطان مراد العثماني باباً ... المشرفة، وغطى الباب مائة وستة وستون رطلا من









الرحمن عليه الصلاة والسلام.

وهناك أخطاء كثيرة ترتكبها العامة من الذين لاعلم لهم- يا أبنائي الأحباب- حتى إنهم يكادون يمحون الأثر.

فعن قتادة رضى الله عنه في قوله تعالى : ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ قال إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه عليه الصلاة والسلام، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق وانمحى(1).

وقال أبو الوليد: وذرع المقام ذراع، والمقام مربع، سعة أعلاه أربعة عشر أصبعاً في أربعة عشر أصبعاً، ومن أسفله مثل ذلك، وفي طرفيه من أعلاه ومن أسفله طوق من ذهب، وعرض حجر المقام من نواحيه واحد وعشرون أصبعاً، ووسطه مربع، والقدمان داخلتان في الحجر سبعة أصابع، ودخولهما منحرفتان، وبين القدمين من الحجر أصبعان، ووسطه قد استدق من التمسح به.

ولقد قال المؤرخون المسلمون عن المقام «إنه الحجر الذى يصلى عنده الأئمة، وهو الذى أتى به إسماعيل لأبيه عليهما السلام،

(1) المرجع السابق- ص ٧٨ واخلولق وانماح أى تضاءل ومحى أثره.

عندما علا ارتفاع البيت- أى الكعبة المشرفة- عن قامة إبراهيم أثناء بنائهما الكعبة المشرفة، فوقف عليه خليل الرحمن ليكمل البناء، وكان إذا انتهى من جدار حمله إلى جدار آخر حتى أتم البناء(1).

وقد اهتم خلفاء المسلمين وسلاطينهم بالمقام، فجعله بعضهم على كرسى ملبس بصفائح من الرصاص، فأبدل الخليفة المنتصر بالله هذه الصفائح بأخرى من الفضة عام ٢٤١ هجرية، ثم أنشئت للمقام مقصورة أعيد بناؤها عام تسعمائة هجرية، وزاد السلطان العثمانى عبد العزيز ارتفاع القبة حوالى ذراع ونصف.

وحين حج الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود حجته السابعة أزال القبة، وبات بوسع الناس رؤية الحجر وأثر القدمين عليه حسبما ذكر ابن بشر فى كتابه «تاريخ نجد».

ومع تزايد أعداد الحجاج والطائفين والمصلين، لوحظ أن ما بنى فى المسجد الحرام من منشآت كالبناء القائم فوق مقام إبراهيم، والعقد الذى يسمى باب «شيبة» يعيق الطائفين والمصلين،

---

(1) هذه بلادنا - كتاب من إصدار وزارة الإعلام السعودية- عام ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ص ٩١ .

فوضعت رابطة العالم الإسلامى دراسة حول الموضوع ورفعتها إلى الملك فيصل يرحمه الله مقترحة إزالة الزوائد المحدثة، ووضع صندوق من الزجاج فوق المقام مما يوفر مساحة كبيرة ويزيل الاعتقاد أن بداخل المقام قبر إبراهيم عليه السلام.

وصدرت الموافقة الملكية على ذلك، وأذاعت رابطة العالم الإسلامى بيانًا أحاطت فيه المسلمين علماً بالموضوع وبينت أسبابه.

وكانت مساحة المقصورة ثمانية عشر متراً فى حين أن المقام لايزيد عن متر مربع ونصف المتر.

وبتاريخ ١٣٨٧/٧/٨ هـ، احتفل بوضع غطاء المقام الذى صنع من الكريستال الفاخر، مع حاجز حديدى وقاعدة رخامية مساحتها الإجمالية (130X180) سنتيمتراً، مما وفر مساحة تقرب من خمسة أمتار مربعة فى عرض المطاف.

أما الغطاء الكريستال فيبلغ قطره ثمانين سنتيمتراً، وسماكته عشرين سنتيمترا ارتفاعه ٧٥ سنتيمتراً، كما بلغ الوزن لإجمالى ألفا وسبعمائة كيلو جرام، منها ستمائة كيلو جرام للقاعد الأساسية النحاسية وحدها، وبلغ ارتفاع المقام بكامله– من قمته إلى قاعدته– حوالى ثلاثة أمتار.

الحجر الأسود

إن للحجر الأسود - يا أحبابى- تاريخ قديم بدأ مع إنشاء الكعبة المشرفة على يد سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام، وقد تعرض هذا الحجر المبارك لأحداث كثيرة عبر الأزمنة والعصور المختلفة.

وحول مصدر الحجر الأسود ذكر ابن الأثير فى تاريخه أن إبراهيم عليه السلام، حينما أمره الله تعالى ببناء البيت الحرام قال لولده إسماعيل: لقد أمرك الله أن تعيننى على بنائه- قال: إذن أفعل، فقام معه فجعل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة. ثم قال إبراهيم لإسماعيل: ائتنى بحجر متميز فى لونه أجعله للناس علماً (أى علامة يبدأ منها الطواف) فأخذ إسماعيل حجراً من أحجار جبل أبى قبيس وهو الحجر الأسود ووضعه فى موضعه، فلما ارتفع البنيان كان إبراهيم يقف على حجر وإسماعيل يناوله، وهذا الحجر هو مقام إبراهيم، وهكذا تعاون إبراهيم وإسماعيل

(1) الكامل فى التاريخ لابن الأثير - الجزء الأول ص ٦١ - المطبعة المنيريه- عن د. النجار- مرجع سابق

وفى هذه الرواية وما يؤيدها من روايات ذكرتها العديد من كتب التاريخ يتضح لنا– أحبائى الصغار– أن الحجر الأسود من أحجار جبل أبى قبيس، وقد أراد الله تعالى أن يوضع فى ركن من أركان بيته المحرم ليكون علماً، أى علامة يبدأ منها الطواف وينتهى إليها، فلما أذن إبراهيم فى الناس بالحج كان الحجر الأسود وضع بدء الطواف ونهايته، وكان الطائفون يبدأون باستلامه وكأنهم بسجلون أنفسهم فى هذا السجل الخالد، ويقترن ذلك فى نفوسهم بأجل الذكريات، فيزداد حبهم لهذا الحجر المبارك وينتقل ذلك من قبيل إلى قبيل ومن جيل إلى جيل.

وهذه اليد التى وضعت الحجر الأسود فى مكانه، وأظهرت للعالمين قدره، وغرست فى قلوب المؤمنين محبته، هى اليد الشريفة التى تسلطت من قبل على الأصنام فجعلتها جزازاً، وأظهرت للعالمين ما يحيط بتقديسها من وهم وخرافة، وغرست فى قلوب المؤمنين عقيدة سليمة تدعو إلى نبذ عبادة الأصنام والقضاء عليها، ذلك بأن الحجر الأسود جزء من الكعبة المشرفة، وحينما يتطلع إليه المؤمنون على توالى العصور من نافذة الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة، يرونه حجراً لايضر ولاينفع، وحينما يقبلونه يوقنون حق

اليقين أنه لايحس بتقبيلهم، وعندما يكبرون باسم الله إلى جواره يعتقدون أنه لايسمعهم وأنهم إنما يكبرون لله السميع العليم،.وإذا تطلعت عيونهم إلى الحجر فإن قلوبهم لاترى إلا خالق الحجر ورب البيت.

وحول ذلك يروى عن أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أنه كان عندما يقبل الحجر الأسود يقول: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

ولقد تعرض الحجر الأسود عبر القرون لأحداث كثيرة، ولولا أن الله تعالى قدر له الحفظ والبقاء لعصفت به الكوارث، وتبدد بين ركام الحوادث.

فعندما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير والأمويين أعاد عبد الله بناء الكعبة بعد تصدعها على يد الحصين بن نمير، وصبّ طوقاً من الذهب حول الحجر لتثبيته في مكانه، ولكن الفضة تزلزلت بمضي الوقت وتعلقت حول الحجر حتى خشى الناس عليه أن يسقط من مكانه، فلما ذهب الرشيد إلى الحج أمر بالحجارة التي يقع بينها الحجر الأسود فثقبت بالماس من فوقها

ومن تحتها ليثبت الحجر الأسود فى مكانه.

وبعد ذلك تعرض الحجر للسرقة من قبل القرامطة الذين نقلوه إلى البحرين سنة ٣١٧ هـ وبقى مكانه فارغًا كالعين المفقوءة إلى أن تمكن المسلمون من استرداده سنة ٣٣٩ هـ وبقى بعدها فى مكانه حتى يومنا هذا فى ركن الكعبة يبدأ منه الطواف وينتهى إليه، وسيظل كذلك بأمر الله تعالى أثرًا خالدًا للأجيال المسلمة القادمة ذكرى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وهى ذكرى خالدة تعتبر بها النفوس ويقوى فى ظلها الإيمان.

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن وإنما سودته خطايا ابن آدم» «أخرجه الترمذى».

وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فى الحجر الأسود: «والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصربهما ولسان ينطق فيشهد على من استلمه بحق» أخرجه الترمذى أيضًا.

بئر زمزم:

تقع بئر زمزم التاريخية المباركة بجوار باب بنى شيبة من أبواب

الحرم المكي الشريف، وبينها وبين الحجر الأسود ثمانية عشر متراً.

ويرجع تاريخ هذه البئر إلى زمن سيدنا إسماعيل عليه السلام حيث تركه أبوه إبراهيم مع أمه هاجر وهو رضيع في موضع المسجد الحرام امتثالا لأمر الله تعالى، وكان مكاناً صحراوياً جافا لازرع فيه ولاماء.. وعندما اشتد العطش بالطفل الرضيع إسماعيل ذهبت أمه تبحث عن الماء لترويه، وظلت تروح وتجئ بين جبلى الصفا والمروة، إلى أن نزل جبريل عليه السلام الملك وضرب الأرض بعقبه فنبع الماء مكان ضربته، ففرحت هاجر أم إسماعيل وزوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأدارت حول الماء حوضاً خشية نفاذه وهى تزمه وتقول للماء زمى زمى، ومن هنا سميت البئر زمزم.

وفي عهد جرهم طمست البئر وزالت معالمها إلى أن شاهد عبد المطلب جد الرسول ﷺ رؤيا في المنام مكان البئر، فحفرت وكان ذلك قبل ميلاد المصطفى ﷺ.

وماء زمزم – أحبائى– ماء مبارك يفيد في الحالات المرضية بأمر الله تعالى.

فعن وهب بن منبه قال فى زمزم: والذى نفسى بيده إنها لفى كتاب الله مضنونة، وإنها لفى كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم(1).

وعن جابرٍ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «زمزم لما شرب له». وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «التضلع- أى الشرب الكثير حتى ملء الأضلاع- من ماء زمزم براءة من النفاق.

وعن عطاء أن كعب الأحبار حمل منها اثنتى عشرة راوية إلى الشام. وعن الضحاك بن مزاحم قال: بلغنى أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق، وأن ماءها يذهب بالصداع، وأن الاطلاع فيها يجلو الصبر، وأنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات.

حكومة المملكة وبئر زمزم:

وبعد مئات السنين من حفر بئر زمزم قامت المملكة العربية السعودية بأضخم عملية تنظيف لها، ووضعت خريطة دقيقة

---

(1) عن كتاب عرف الطيب- مرجع سابق ص ٧٩.

لأبعادها ومصادر تغذيتها بالمياه بتاريخ ١٧ هـ جمادى الأولى (١٩٧٩ م) بواسطة اثنين من الغطاسين.

وتم خلال عملية التنظيف هذه انتشال جميع المخلفات الطينية والأوانى التى كان ضيوف الرحمن من الحجاج يلقونها فى البئر على مرّ السنين تيمناً وتبركاً، كما تم استخدام فرش السلك لتنظيف حوائط جدران البئر، وقد تم الانتهاء من هذه العملية المباركة يوم ١٣٩٩/٧/٢٥ هـ.

حدود الحرم المكي الشريف:

إن للحرم المكى الشريف حدودا يا أبنائى حددها السابقون وكل من يقع داخل هذه الحدود يصبح آمناً مصداقا لقوله تعالى: ﴿**ومن دخله كان آمنا**﴾ .. كما يترتب على وجود الإنسان داخل هذه المنطقة عدة أمور تتعلق بإحرامه إذا لم يكن من أهل مكة وغيرها من الأحكام الفقهية العديدة.

وحول حدود الحرم قال أبو الوليد رحمه الله تعالى هى: من طريق المدينة المنورة دون التنعيم عندبيوت ثغار ثلاثة أمثال [1]،

(1) أميال جمع ميل والميل هو وحدة طول تساوى ٣٥ و ١٦٠٩ متراً أى أكثر من

ومن طريق اليمن من طرق إضاءة لبن في ثنية لبن على بعد سبعة أميال، ومن طريق جدة منقطع الأعشاش عشرة أميال، ومن طريق الطائف على طريق عرفة من بطن نمرة على أحد عشر ميلا، ومن طريق العراق على ثنية حد بالمقطع على سبعة أميال، ومن طريق الجعرانة في شعث آل عبد الله بن خالد بن أسيد على تسعة أميال.

---

(1) عن كتاب عرف الطيب- مرجع سابق ص ٩٠.

الفصل الثالث

مكة المكرمة «بلد الأمن»

في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

لقد ورد ذكر مكة المكرمة في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وذكر فيها رسول الله ﷺ أحاديثا عدة، جعلت لها خصائص محددة جعلتها بلدة فريدة لا يدانيها غيرها من البلدان فيما خصها الله تعالى به، وخصائص ومميزات مكة المكرمة هذه تتكرر وتتأكد فى نسق ثابت فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه وهى: الأمن أولا، والعبادة ثانيا.. وترتبط القبلة بمسجدها الحرام، بذاك الترتيب وهذا التخصيص المميز للبلد الحرام.

وتحدث القرآن الكريم كذلك عن المسجد الحرام فى أكثر من خمسة عشر موضعاً، منها ما يتعلق بالأمر بالتوجه إليه عند الصلاة، ومنها ما يتعلق بوجوب تطهيره وصيانته من كل رجس، ومنها ما يتعلق بحكم القتال أو العهود عنده، ومنها ما يتعلق ببعض أحكام الحج والملابسة له، ومنها ما يتعلق بسمو مكانته وعلو قدره وسبقه لغيره فى الفضل والشرف. ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن البيت الحرام فى مكة المكرمة هو أول بيت وضع فى الأرض ليعبد الناس الله فيه فقال:

﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكه مباركا وهدى

للعالمين* فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ [آل عمران: 96-97] فأول خصائص مكه المكرمة أنها مكان أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين. وإذا تأملنا قوله تعالى: **﴿ومن دخله كان آمنا﴾** ثم قوله بعد ذلك فى نفس الآية سورة آل عمران **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾** .. فهنا صفتان للبيت. أولاهما أن من دخله أمن، وثانيتهما أنه يجب الحج إليه هكذا بهذا الترتيب : الأمن أولا، ثم الأمر بالحج.

فالأمن مقدم لفرض الحج وكأنه شرط لوجو به، وهو فى واقع الأمر شرط، لأنه لو انعدم الأمن لانهدم شرط التمكن من العبادة وأداء الحج.

وعن رسول الله ﷺ أنه سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وسئل : كم بينهما؟ قال: أربعون سنة وعن على رضى الله عنه أن رجلا قال له: أهو أول بيت؟ قال: لا قد كان قبله بيوت، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركًا فيه الهدى والرحمة والبركة، وأول من بناه إبراهيم، ثم بناه قوم من العرب من قبيلة جرهم ثم هدم، فبنته العمالقة، ثم هدم

فبنته قريش(1) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه: هو أول بيت حج بعد الطوفان، وقيل : هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، وكان زبدة بيضاء فدحيت الأرض تحته.

وقيل عن البيت الحرام الموجود بمكة المكرمة أيضاً: هو أول بيت بناه آدم، وقيل: لما هبط آدم، قالت له الملائكة: طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك.

ومعنى مباركاً أى كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره، وعكف عنده، وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب.

وهو هدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم، وقوله «مقام إبراهيم» عطف بيان لقوله: آيات بينات، فكأن مقام إبراهيم عليه السلام بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى.

ومعني «من دخله كان آمناً» التى سبق وتحدثنا عنها أيضاً، يوضحه لنا قوله تعالى من آية أخرى **﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾** وذلك قد تحقق بدعوة إبراهيم

(1) عن د. فتحي أحمد عامر- مكة في القرآن الكريم- مؤتمر قدسية الحرمين

عليه السلام حيث قال : **﴿رب اجعل هذا بلداً آمنا﴾**، وكان الرجل لو ارتكب كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يؤذ.

وعن عمر رضى الله عنه قال: لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب مامسسته، حتى يخرج منه.

وعن أبى حنيفة رضى الله عنه: من لزمه القتل فى الحل بقصاص أوردة أوزنا، فالتجأ إلى الحرم، لم يتعرض له، إلا أنه لايؤوى، ولايطعم، ولايسقى، ولايبايع، حتى يضطر إلى الخروج، وقيل: آمنًا من النار.

والبيت اسم غالب للكعبة، كالنجم للثريا، وهو مثابة للناس، أى: مرجع للحجاج والعمار، يتفرقون عنه، ثم يثوبون إليه، أعيانهم أو أمثالهم.

وتقول آية أخرى من القرآن الكريم: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾** الأية ١٢٥ من سورة البقرة.

فهذه الآية جاءت بنفس النسق والترتيب الوارد فى الآية الأولى

التى ذكرناها، فالأمن أولا ثم الأمر باتخاذ مقام إبراهيم للصلاة، فالأمن مقدمة للأمر بالصلاة وكأنه شرط لوجوبه.

وحول اتخاذ مقام إبراهيم مصلى ونزول الآية الكريمة؛ يروى عن النبى ﷺ أنه أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال: هذا مقام إبراهيم فقال عمر: أفلا تتخذه مصلى؟

فقال: لم أومر بذلك، فلم تغب الشمس حتى نزلت هذه الآية الكريمة: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى».

ومعنى «أن طهرا بيتى» أى طهراه من الأوثان والأنجاس، وطواف الجنب والحائض، والخبائث كلها، أو أخلصاه لهؤلاء العاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده، أى أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين، ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعنى القائمين فى الصلاة.

ويتكرر النسق فى المواضع الأخرى من القرآن الكريم، بل نرى أن دعاء إبراهيم لمكة بالأمن يرد فى القرآن قبل بناء البيت: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً**﴾ وبعد ذلك ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت**

السميع العليم* ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ آية ١٢٧ و ١٢٨ من سورة البقرة.

ولقد سبق الدعاء بالأمن والتوحيد الدعاء بقوله ﴿**ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم**﴾ .. آية ٣٧ من سورة إبراهيم.

مكة هي الحرم:

قال تعالى وهو أصدق القائلين استجابة لدعوة إبراهيم بأن يجعل الكعبة بلداً آمناً: ﴿**أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم**﴾ آية ٦٧ من سورة العنكبوت. فكلمة حرم هى المصطلح الصحيح لمكة المكرمة(1).

ولايتحدث القرآن الكريم ولا الحديث الشريف عن مكة بأنها المدينة المقدسة أو الأماكن المقدسة، وإنما هى حرم.. وكلمة حرم

---

(1) د. محمد عبد الحليم أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة لندن- بحث بعنوان مكة فى القرآن الكريم والحديث بلد الأمن والعبادة- صحيفة الأهرام الدولى-

تحمل بذاتها، وفى صحيحها معنى الحرمة، والأمن أول خصائص مكة فى النسق القرآنى الكريم وقد جاء الأمر للرسول ﷺ بعبادة رب مكة الذى حرمها فى قوله تعالى: **﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها﴾** آية ٩١ من سورة النمل.

فالحرمة سابقة دائمة، وهى عامة تشمل المكان والإنسان والطير والصيد والشجر.. ومكة المكرمة بهذه الخاصية فريدة لايشركها فيها أى مكان فى الأرض فى أى دين من الأديان.

وتتأكد تلك الحرمة فى وقت الحج، وفى بيان مداها قال رسول الله ﷺ يوم النحر فى حجة الوداع: **«فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا»**.

ولأن الله سبحانه وتعالى جعل الأمن أهم صفة لبلده الحرام مكة المكرمة فقد توعد من يفسد فيها أو يسعى لنقض أحكام الله فيها بأشد العذاب.. فقال جل فى علاه: **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** آية ٢٥ من سورة الحج.

فهذه الآية الكريمة تهديد شديد لكل من يحاول ارتكاب شئ

نهى الله تعالى عنه فى هذا المسجد الحرام، والإلحاد هو الميل، ومنها يقال: ألحد فلان في دين الله، أى مال وحاد عنه.. معنى الآية الكريمة: أن من يرد فى هذا المسجد الحرام إلحادا، أى ميلا وحيدة عن احكام الشريعة وآدابها، بسبب ظلمه وخروجه عن طاعتنا، نذقه من عذاب اليم.

وقد جاء هذا التهديد على أقصى درجاته لأن القرآن الكريم قد توعد بالعذاب الأليم كل من ينوى ويريد الميل فيه عن دين الله، وإذا كان الأمر كذلك فمن ينوى ويفعل يكون عقابه أشد ومصيره أقبح.

ويدخل تحت هذا التهديد كل ميل من الحق إلى الباطل، وكالنطق بالأقوال الباطله، وترويج المذاهب الفاسدة والأفكار التى يقصد بها الدعاية لشخص معين أو لحزب معين.

وإن كان ذلك محرما فى المساجد العادية نظراً لقوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ فما بالك بحرمتها وشدتها في المسجد الحرام وبالبلد الحرام مكة المكرمة.

ولنتأمل بعض أحكام حرمة مكة المكرمة والعقاب الذى يوقع

علي من يخترق هذه الحرمة كقاتل صيد مكة مثلا، فعلية جزاء المثل أو عدل ذلك صياماً.. ﴿ليذوق وبال أمره﴾ آية ٩٥ من سورة المائدة.. وفي الذين اعتدوا على البيت وجعلوا صلاتهم عنده صفيرا وتصفيقاً قال تعالى في عقابهم ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ آية ٣٥ من سورة الأنفال.

فمن يشتغل في البيت الحرام بهتاف أو صياح أو ضوضاء تفسد جو الأمن والحرمة والعبادة- وحدود البيت الحرام سبق وذكرناها في الفصل الثاني من هذا الكتاب يا أبنائي الأحباب- يخاطر بأن يشبه من قال الله تعالى فيهم ﴿وماكان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ في الشطر الأول من آية سورة الأنفال السابقة، أي صفيراً وتصفيقاً، ومن أتى في الحرم شيئاً من شأنه أن يحدث خطراً وضرراً وفرقة يخاطر بأن يشبه من وجه أو آخر من قال الله تعالى فيهم: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين﴾ في الآية ١٠٧ من سورة التوبة وهم المنافقون والعياذ بالله.

فالمساجد عموماً والحرم على الأخص مكان للتقوى والتطهر والأمن الضروري جداً لأداء العبادة كما أمر الله تعالى بها.

ومن أجل توفير جو الأمن والعبادة أمر النبى ﷺ الحجاج أن يلتزموا السكينة ، ونهاهم عن الإسراع الذى من شأنه أن يفضى إلى التدافع والاضطراب والخطر فقال: ﴿**أيها الناس: السكينة السكينة ليس البر فى إيضاع الإبل**﴾.

فالحج بشعائره يا أبنائى الأفاضل فريضة كالصلاة تماماً يحرم بها المسلم كما يحرم بالصلاة مع اختلاف بعض الشروط بينهما من حيث الملبس.

والرسول ﷺ يقول: «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير» وما يليق الهتاف والصياح والتظاهر بجو العبادة حجًا أو صلاة.

وفضل مكة والبيت الحرام عظيم، ذكرها الله تعالى فى آيات عديدة من كتابه الكريم، وكذلك ذكرها ﷺ فى أحاديث كثيرة.. ويصعب علينا - أحبابى- فى هذه الصفحات أن نذكرها جميعًا فهى تحتاج كتاباً مستقلاً.

غير أننا نذكر إضافة إلى ما سبق بعض الفضائل، ومنها قول ابن عمر رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: من طاف بالبيت كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة.

وعن أبى سعيد الخدرى أنه كان يطوف بالبيت وهو يتكيء على غلام له يقال له طهمان، وهو يقول لأن أطوف بهذا البيت أسبوعاً لاأقول فيه هجراً أو أصلى ركعتين أحب إلي من أن أعتق طهمان وضرب بيده على منكبه.

وعن قدامة ين موسى بن قدامة بن مظعون أن أنس بن مالك رضى الله عنه قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله عن الطواف أفضل للغرباء أم العمرة قال بل الطواف.

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: هذا البيت دعامة الإسلام من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله عز وجل أن يدخله الجنة وإن رده أن يرده بأجر أو غنيمة.

وللطواف حول البيت الحرام- الكعبة- يا أحبابى أجر عظيم لايدانيه أجر عمل آخر فى هذه الدنيا.. فعن حسان بن عطية أن الله عز وجل خلق هذا البيت عشرين ومائة رحمة، ينزلها فى كل يوم، فستون منها للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين ويصلى وينظر. (يقصد أن الطائف يطوف حول البيت وينظر له ويصلى ركعتى الطواف خلف مقام إبراهيم).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ينزل الله عز وجل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة، ستون منها للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين.

***

الفصل الرابع

التوسعة السعودية للحرم المكي

والتنمية الرائدة للعاصمة المقدسة

ذكرنا فى صفحات سابقة من هذا الكتاب عمليات التوسعات التى طرأت على الحرم المكى الشريف منذ أقامه سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام وحتى التوسعة العثمانية الأخيرة، ووقفنا عند بداية الحكم السعودى للجزيرة العربية وإقليم الحجاز.

ففى أوائل عام ١٣٧٥ هجرية كانت الجزيرة العربية في معظم أنحائها وإقليم الحجاز بوجه خاص قد أظله الحكم السعودى الحالى.

وفى أوائل العام ذاته، وبالتحديد فى ١٣٧٥/٤/٤ هـ (١٩٥٥/١١/١٩م) بدأت التوسعة السعودية المباركة للمسجد الحرام، وتم إدخال المسعى الذى كان شارعًا تجاريًا ضمن المسجد الحرام، واستمر البناء على أسس فنية وهندسية جميلة تليق بما لبيت الله من قداسة ومكانة عظيمة فى نفوس المسلمين.

وفى عهد الملك سعود بن عبد العزيز رحمة الله بدأ العمل فى شروع التوسعة الكبيرة للمسجد الحرام والتى نفذت على عدة مراحل حيث سار المشروع فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز عليه رحمة الله بخطى حثيثة، وشملت التوسعة النقاط التالية:

- إزالة المنشآت السكنية والتجارية التى كانت قائمة قرب المسعى، وهدم المبانى القائمة شرق المروة، وشق طريق جديد يمتد بجانب الصفا والمروة إلى حى القرارة وحى الشامية.

- بناء المبسعى من طابقين، ويبلغ طول المسعى من الداخل ٣٩٤,٥ متراً وعرضه عشرين متراً، ويبلغ ارتفاع الطابق الأرضى للمسعى اثنى عشر متراً، الطابق العلوى تسعة أمتار.

- أقيم فى وسط المسعى حاجز يقسمه إلى قسمين طويلين خصص أحدهما للسعى من الصفا إلى المروة، والآخر من المروة إلى الصفا لتيسير السعى ولمنع التصادم بين الساعين ذهاباً وإياباً.

- أنشىء للمسعى ستة عشر باباً فى الواجهة الشرقية، كما خصص للطابق العلوى مدخلان: أحدهما عند الصفا والآخر عند المروة، وبنى لهذا الطابق سلمان من داخل المسجد أحدهما عند باب الصفا والآخر عند باب السلام، وبنى تحت الطابق الأرضى طابق سفلى يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار ونصف المتر.

وأنشئت حول الحرم خمسة ميادين عامة، وأصبح عدد أبواب الحرم المكى الشريف أربعة وستين باباً، وحفرت أنفاق فى جميع

الاتجاهات مزودة بدورات للمياه ومغاسل للوضوء، وذلك لتأمين سلامة الحجاج من حوادث الحركة المرورية، وتخفيف الازدحام عند الخروج من الحرم أو الدخول إليه.

وقد أصبحت مساحة المسجد الحرام بعد هذه التوسعة مائة وثلاثة وتسعين ألف متر مسطح، وكانت قبلها تسعة وعشرين ألفا ومائة وسبعة وعشرين متراً مسطحاً فقط، أى بزيادة قدرها مائة وواحد وثلاثون ألفا وواحد وأربعون متراً مسطحاً، مما جعل الحرم يتسع لحوالى أربعمائة ألف مصل.

وشملت التوسعة كذلك ترميم الكعبة المشرفة وتوسعة المطاف بتجديد مقام إبراهيم عليه السلام.

وبعد ثلاثين عاماً من بداية تنفيذ التوسعة ظل الحرم الشريف يضيق بالمصلين فى المواسم لزيادة عدد الحجاج عاماً بعد عام، وللتوسيع على المصلين لأداء صلواتهم فى خشوع وطمأنينة، صدر فى عهد الملك خالد الأمر السامى فى عام ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م بدراسة نزع الملكيات الواقعة حول الحرم الشريف للاستفادة منها فى إيجاد مساحات أوسع، وإنشاء بعض المرافق لخدمة المصلين فنزعت ملكية منطقة السوق الصغير

الواقعة فى الجهة الغربية من الحرم، وتبلغ مساحتها واحداً وثلاثين ألفاً وسبعمائة وعشرين متراً، مربعاً، وبلغت تكاليف تعويض نزع الملكيات في هذه المنطقة ستمائة مليون ريال سعودى.

وفى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز صدرت التوجهات السامية للرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بالمشاركة فى خطة التنمية الرابعة 1405-1410م (1985-1990 م)، ووضعت أهدافاً محددة لتطوير وتحسين منطقة الحرم المكى الشريف، وإضافة مساحات جديدة لاستيعاب أكبر عدد من المصلين، وصدر قرار مجلس الوزراء بتاريخ ١٤٠٥/٦/ ٢٩م بالموافقة على خطة التنمية الرابعة، وتحقيق الأهداف المشار إليها لتطوير وتوسعة وتحسين منطقة الحرم الشريف، وقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بوضع حجر الأساس للتوسعة الجديدة فى عام ١٤٠٨ هـ (١٣ سبتمبر ١٩٨٨ م) والتى بلغت تكاليفها ٦٨٥٠ مليون ريال منها ١٤٥٠ مليون ريال لإقامة الطرق والأنفاق المحيطة بالحرم، و ٢٥٠٠ مليون ريال لتعويض نزع الملكيات.

وقبل البدء فى التوسعة الجديدة كان الحرم الشريف قد شهد

مجموعة من الأعمال التى تهدف إلى توفير سبل الراحة للحجاج والمعتمرين.

ففى شهر رمضان عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) بدأ استخدام التوسعة التى أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، والمتمثلة فى تسوية سطح الحرم الشريف وتهيئة لأداء الصلاة بهدف تخفيف الازدحام داخل الحرم، واستيعاب قرابة مائة ألف مصل، كما تم إضافة وتركيب أربعة سلالم كهربائية متحركة لنقل المصلين من وإلى سطح الحرم.

ويستوعب سطح الحرم الشريف حاليا ثمانين ألف مصل، حيث تبلغ مساحته الكلية ثلاثة وأربعين ألفاً وثمانمائة متر مربع، والمساحة المخصصة للصلاة منها هي: سبعة وثلاثون ألفاً وإثنان وتسعون متراً مربعاً.. وقد أمر خادم الحرمين الشريفين بإضافة ثلاثة أبنية للسلالم الكهربائية المتحركة صعوداً وهبوطاً، ويضم كل مبنى أربع وحدات تستوعب كل منها ثلاثين ألف شخص.

وتبلغ مساحة التوسعة الجديدة التى تتضمن إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد الحرام ستة وسبعين ألف متر مسطح تتسع لحوالى مائة وأربعين ألف مصل إضافة إلى ما سبق.

كما اشتمل مشروع الملك فهد تجهيز الساحات الخارجية بمساحة قدرها أربعون ألف متر مربع تكفى لاستيعاب خمسة وستين ألف مصل.

وبعد هذه التوسعة أصبحت مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد التوسعة والأسطح وكامل الساحات ثلاثمائة وتسعة آلاف متر مربع تتسع لحوالى ستمائة وخمسة وتسعين ألف مصل.

وتتضمن التوسعة الجديدة كذلك إنشاء مئذنتين إضافيتين بارتفاع تسعة وثمانين متراً تتشابهان فى تصميمهما المعمارى مع المآذن القائمة البالغ عددها سبع مآذن.

ولتسهيل وصول أفواج المصلين إلى سطح التوسعة فى المواسم يجرى إضافة مبنيين للسلالم الكهربائية المتحركة، مساحة كل منهما ثلاثمائة وخمسة وسبعون متراً مربعاً تحتوى على مجموعتين من السلالم المتحركة. طاقة كل مجموعة خمسة عشر ألف شخص فى الساعة، بحيث تكفى بالإضافة إلى السلالم الثانية لتأمين حركة المصلين فى أوقات الذروة ولاسيما بالنسبة لكبار السن.

ويتكون مبنى التوسعة من مدخل رئيسى كبير وأربعة عشر مدخلا عاديا بالإضافة إلى مداخل الحرم الحالية البالغة ثلاثة مداخل رئيسية وسبعة وعشرين مدخلا عاديا، ويشتمل مشروع التوسعة أيضا على إنشاء محطتي تحويل كهربائية، وإقامة شبكة من أجهزة التبريد المركزية المتطورة، وإقامة عدد من مصانع المياه المبردة، وتوفير أماكن لشرب مياه زمزم في جميع الطوابق، وسيجرى إنشاء نفق للسيارات في منطقة السوق الصغير لتخفيف الازدحام حول المسجد الحرام.

التنمية السعودية الرائدة للعاصمة المقدسة:

بعد أن تحدثنا باختصار يا أحبائى حول التوسعة السعودية للحرم المكى الشريف، سنحدثكم في السطور القليلة القادمة وبإيجاز شديد يدخول بعض مظاهر التنمية السعودية الرائدة للحرم المكى الشريف ولمكة المكرمة عموماً باعتبارها العاصمة المقدسة للمسلمين عامة.

فقد حظيت مكة المكرمة خاصة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة بنصيب وافر من العناية السعودية.

وتواجه عملية التنمية في مكة المكرمة مشكلة تنظيمية خطيرة

بسبب تركيبها الجيولوجى المعقد، غير أن السلطان السعودية تمكنت بفضل الله ثم بفضل استخدامها للأجهزة والمعدات الحديثة من التغلب على هذه المشكلة عن طريق حفر الأنفاق فى الجبال، وتعبيد الصخور واستغلالها فى عمليات التعمير والتنمية.

وسنحاول أن نلقى نظرة عابرة- أحبائى- على بعض مظاهر العناية السعودية وتنمية مكة المكرمة.

طرق وأنفاق:

انتهى فى عام ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) تنفيذ الجانب الأكبر من الطريق الدائرى حول المسجد الحرام بتكلفة قدرها مليار وسبعمائة وأربعة وعشرون مليونا ومائة وواحد وسبعون ألف ريال سعودى..

وقد تضمن هذا المشروع الضخم اختراق جبل أبى قبيس، وإنشاء نفقين طول كل منهما ٥٩٥,٧ متراً وعرضه ١١,٤٠ متراً، وإنشاء نفقين آخرين فى جبل السبع بنات طول كل منهما ١٧٧,٩ مترا وعرضه ١١,٤٠ متراً مع جسرين اثنين فى أجياد بطول ١٥٠ متراً وعرض ١١,٤٠ متراً.

كما أنشئ نفقان فى جبل قلعة أجباد كل منهما بطول (٣, ٣٥٩ مترا) وعرض ١١,٤٠ مترا مع منحدرات جسرية بطول ٣٧٥ مترا ومنحدرات عادية بطول ٨٦٥ مترا.

ويضم الجزء المنفذ من الطريق الدائرى، إضافة إلى ذلك، نفقين فى جبل هندى طول كل منهما ٤٨٤ مترا وعرضه ١١,١٢ مترا، وطريقاً يمتد من شعب على إلى شعب عامر.

وقد بلغت كلفة القسم الثانى من الطريق ثلاثة مليارات وسبعمائة وستين مليون ريال، وهو يهدف إلى استكمال حاجة العاصمة المقدسة من الأنفاق والطرق الفرعية التى تسهل حركة المرور لحجاج بيت الله.

وهناك ستة طرق تصل مكة المكرمة بجدة والطائف والرياض والمدينة المنورة والليث واليمن، وقد صممت بحيث تستوعب حركة نقل الحجاج والمسافرين والبضائع، ولها مواصفات الطرق السريعة الحديثة.

خدمات بلدية:

نفذت أمانة العاصمة المقدسة مشاريع لتحسين وتجميل المدينة

بتكلفة قدرها خمسمائة وواحد وستون مليون ريال، شملت رصف طرق وحوائط ساندة وجسوراً وأعمدة إنارة ومساحات خضراء مفتوحة وتشكيلات جمالية.

كما نفذت الأمانة مشاريع توسعة تسعة شوارع وميادين بتكلفة قدرها تسعمائة وخمسة وسبعون مليونا وستمائة وخمسة وستون ألف ريال .

وأنشأت الأمانة ثلاثة مواقف للسيارات متعددة الأدوار وهى- موقف القشاشية قرب المسجد الحرام المبارك، ويسع ستمائة وخمسين سيارة، وموقف الحجون ويسع أربعمائة وخمسين سيارة وموقف المسفلة ويسع ستمائة سيارة، وبلغت كلفة هذه المواقف تسعين مليون ريال وتبلغ تكاليف الصيانة والإنارة السنوية التى تنفقها الأمانة واحدا وعشرين مليون ريال.

وقد انتهت أعمال نزع ملكية السوق الصغير وتسوية أرضه ضمن مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود لتوسعة المسجد الحرام، وأدخل جزء منه فى مشروع توسعة شارع الملك عبد العزيز، وميدان الشبيكة بكلفة إجمالية مقدارها ستمائة وخمسون مليون ريال.

المياه:

كانت مصادر المياه فى مكة المكرمة مقتصرة على المياه الجوفية التى تتوفر فى أعلى الرواسب الغرينية التى تغطى قيعان الأودية الرئيسية فى المنطقة وفى سياق سياسة الدولة الرامية إلى رفع المياه المحلاة من محطات التحلية المقامة على السواحل إلى المدن الداخلية، فقد نفذ مشروع رفع المياه من محطة الشعيبة القائمة على ساحل البحر الأحمر إلى مكة المكرمة بطاقة يومية مقدارها مائة وثلاثة عشر ألف وخمسمائة متر مكعب يوميا مما زاد إمدادات المياه اللازمة للمدينة المقدسة، وواجه التوسع المتوقع فى الاستراتيجية التنموية.

النهضة التعليمية:

منذ ظهور الإسلام وانتصاره ثم انتشاره، والعلم هو الشغل الشاغل لكثير من العلماء والمدرسين الأفاضل فى مكة المكرمة، وفيهم كثير من الأسماء اللامعة فى التاريخ الإسلامى.

وانطلاقا من فكرة دور المسجد كدار عبادة وعلم، كان طلاب العلم يجدون فى المساجد دور تعليم ينهلون فيها من معين العلم،

يلقيه عليهم أولئك العلماء.

وكان المسجد الحرام بطبيعة الحال هو دار العلم الكبرى التى تأخذ الشطر الأكبر من رسالة التعليم على عاتقها، إضافة إلى مسجد رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة.

وكان الطلبة ينتظمون فى حلقات يتولى تدريس كل منها أحد العلماء. ومنذ ذلك الحين، باتت مكة المكرمة أحد مراكز الإشعاع العلمى الإسلامى، ينشط فيها التعليم ويكثر فيها طالبو العلم من شتى أرجاء البلاد الإسلامية، وتختلف الدروس ما بين شرح وتفسير القرآن الكريم والأحكام الشرعية والسنة النبوية المطهرة.

وكان العلماء والمدرسون يقيمون حلقات الدرس فى منازلهم بعد أن ضاق المسجد الحرام المبارك عن استعاب طلبة العلم، وكل ذلك احتساباً لوجه الله تعالى، وأداء للواجب تجاه ما حث عليه الإسلام من طلب العلم وإكرام العلماء.

ثم ظهر فى مكة المكرمة ما يسمى الكتاتيب، وهى حلقات للتدريس تقام فى بيوت المدرسين، وتتولى تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والإملاء والخط وقواعد النحو والصرف،

فكانت هذه الكتاتيب هى القاعدة التى قامت عليها شهرة مكة المكرمة كدار علم بجوار بيت الله الحرام. ثم بدىء بإنشاء المدارس التى أسسها بعض الموسرين والموسرات من المسلمين والمسلمات من داخل الأراضى المقدسة وخارجها.

وكانت أول مدرسة أنشئت هى المدرسة الصولتية عام ١٢٩١ هـ ١٨٧٣م ثم توالى إنشاء المدارس ومنها الفخرية والفائزين والخيرية العارفية والفلاح، ودار الحديث ودار العلوم الدينية ودار الأيتام، وغيرها وكانت أول مدرسة ليلية أنشئت هى مدرسة النجاح الليلية عام ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م.

ومع بداية عهد الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود يرحمه الله تمت أول خطوة تنظيمية لشئون التعليم حين أمر جلالته فى رمضان المبارك ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م بإنشاء مديرية خاصة تتولى الإشراف على شئون العلم والتعليم فى مكة المكرمة ثم فى سائر أنحاء المملكة.

ثم تطورت شئون التعليم فى المملكة، حتى بات على ماهو عليه الآن، وأصبح عدد مدارس البنين حتى العام ١٤٠٧ هـ (١٩٨٧ م) فى مكة المكرمة وضواحيها مائة وثمانية وأربعين

مدرسة ابتدائية تضم ٤٨،٨٧٤ طالبا وأربعا وأربعين مدرسة متوسطة تضم ١٣٦٨٠ طالبا، واثنتي عشرة مدرسة ثانوية تضم حوالي ستة آلاف طالب، إضافة إلى مدرسة الملك فهد الشاملة ومدرسة حراء المطورة وهما مدرستان تطبقان أساليب تعليمية متطورة تمهيداً لتعميم هذه الأساليب على المدارس الأخرى.

أما بالنسبة لتعليم البنات فتضم منطقة مكة المكرمة التعليمية مدرسة حضانة أربع عشرة تلميذة وثماني روضات بها ١٢١٠ تلميذات و ١٨٠ مدرسة ابتدائية تضم ٥٩٧٠ تلميذه و ٦٠ مدرسة متوسطة ١٥٠٠٩ طالبة و ٢٨ مدرسة ثانويه ٧٩٨٠ طالبة ومدرسة ابتدائية لتحفيظ القرآن الكريم بها ٢١٨ تلميذة، وأخرى متوسطة ٤٦ تلميذة و ٤ معاهد للمعلمات بها ١٤٨ طالبة، وكلية متوسطة ٣٦١ طالبة و ٤٩ مدرسة لمحو الأمية ٩٧٥٤ دارسة.

وهناك ثماني مدارس أهلية لمرحلة الروضة تضم ١٢٧٨ تلميذة وثماني مدارس أهلية إبتدائية تضم ١٠٤٨ تلميذة.

جامعة أم القرى:

مع أن جامعة أم القرى «تعتبر سابع جامعة فى المملكة العربية السعودية من حيث تاريخ الإنشاء، إلا أن كلية الشريعة فيها تعتبر أول صرح أكاديمى بالمفهوم العلمى تم إنشاؤه فى المملكة، فقد أنشئت عام ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) فى مكة المكرمة، ثم أضيفت إليها كلية المعلمين فأصبح اسم الكلية، كلية الشريعة والتربية.

ثم أنشئت جامعة أم القرى عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) وأصبحت تضم:

١ ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

٢ ـ كلية التربية .

٣ ـ كلية اللغة العربية .

٤ ـ كلية العلوم التطبيقية والهندسية.

٥ ـ كلية التربية (فى الطائف).

وتضم هذه الكليات الخمس أكثر من خمسين قسماً علمياً للطلبة والطالبات وقد استكملت الجامعة استعداداتها لافتتاح ثلاث كليات أخرى»:

كلية الدعوة وأصول الدين- كلية العلوم الاجتماعية- كلية العلوم الزراعية.

ويتبع الجامعة كذلك عدد من المعاهد ومراكز البحوث مثل:

١- معهد اللغة العربية لغير الناطقين بها .

٢- معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى.

٣- مركز البحوث التربوية والنفسية.

٤- معهد تعليم اللغة الإنجليزية.

٥- مركز أبحاث الحج.

٦- المركز العالى للتعليم الإسلامى.

٧- مركز الدراسات الإسلامية العليا.

٨- مركز العلوم التطبيقية والهندسية.

وفى ٨/١/٦/١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حجر الأساس فى مشروع المدينة الجامعية لجامعة أم القرى وتبلغ مساحتها خمسة عشر مليون متر مربع.

الرعاية الصحية :

وبحكم الوضع الخاص للعاصمة المقدسة، فإن الرعاية الصحية فيها لاتقتصر فقط على سكان المدينة، بل تتعدى ذلك إلى خدمات شاملة تقدم فى مواسم الحج لقرابة مليونى حاج، وأخرى على مدار العام تقدم للمعتمرين والزائرين، ومما يعطى فكرة عن حجم الاستعدادات المتخذة والإنجازات المتحققة فى هذا المجال.

وتعتبر مكة المكرمة هى المحور الرئيسى للخدمات الصحية التى تبدأ منها وتمتد إلى المشاعر المقدسة مما يمكن إجماله كما يلى:

١ـ مستشفى الملك عبد العزيز (٥٠٠ سرير).

٢ـ مستشفى الملك فيصل (٤٣٠ سريراً).

٣ـ مستشفى أجياد (٢٣٠ سريراً).

٤ـ مستشفى النور (٥٧٤ سريراً).

٥ـ مستشفى حراء (٣٢٧ سريراً).

ويضاف إلى هذه المستشفيات عدد آخر من المستشفيات والمراكز الصحية. أما المراكز الصحية فهى اثنان وعشرون مركزاً داخل مكة المكرمة، وواحد وأربعون مركزا فى المشاعر المقدسة.

الاتصالات:

ومع المستوى الرفيع الذى بلغته وسائل الاتصال فى المملكة العربية السعودية فإن خدمات هذه الوسائل تتضاعف عدة مرات خلال مواسم الحج فى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة والمدينة المنورة، بينما تؤدى خدماتها على مدار العام لسكان المدينة والزائرين والمعتمرين.

وقد استحدثت وزارة البرق والبريد والهاتف خدمة خاصة سميت «خدمة بريد الحج» تصدر إرسالياتها البريدية إلى ثلاث وأربعين دولة إسلامية خلال مواسم الحج بمعدل (157) إرسالية أسبوعياً.

وبطبيعة الحال فإن الوسائل والمعدات والأجهزة الاليكترونية الحديثة تقوم بفرز وختم وتصدير تلك الإرساليات.

وفى داخل مكة المكرمة يوزع بريد الحجاج عبر ثلاثة عشر مكتباً بريدياً، إضافة إلى أماكن الإقامة ومؤسسات الطوافة وبعثات الحج.

ويؤدى البريد الممتاز والبريد الإليكترونى خدماتهما لسكان المدينة والحجاج بالتعامل مع ثمانية وعشرين مدينة داخل المملكة، وخمس دول عربية، وثمان وعشرين دولة أخرى، ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست والتى تضم (المملكة العربية السعودية - سلطنة عمان- دولة الإمارات العربية المتحدة- قطر- الكويت - البحرين).

وتقوم بهذه الخدمات أربع شعب بريدية؛ إحداها فى مكة المكرمة نفسها، والأخرى فى المشاعر المقدسة.

وهناك إحدى وأربعون شعبة بريد فى مكة المكرمة والمشاعر المقدسة لاستلام وتسليم البريد الوارد والصادر.

***

كشاف الموضوعات

كشاف الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	(ج)
مناسك الحج والعمره	١
شعائر الحج	٣
العمرة	٨
زيارة المسجد النبوى	١٦
تاريخ مكة	١٧
الموقع	١٧
بناء الكعبه المشرفه	١٨
حج آدم عليه السلام	٢٢
خليل الله ابراهيم وابنه اسماعيل فى وادى مكه	٢٢
بنوجرهم والخزاعيون فى مكة	٢٤
إبراهيم وإسماعيل يرفعان قواعد الكعبة المشرفة:	٢٥
حريقه في الجاهلية والإسلام.	٢٨

الموضـــــوع	الصفحــة
قواعد الكعبة المشرفه	٢٥
حج ابراهيم واسماعيل عليهما السلام	
وآذان ابراهيم بالحج	٢٩
مكة المكرمة مستقر الأنبياء	٣١
قريش تتجمع حول الكعبة المشرفة	٣٣
عام الفيل والطير الأبابيل	٣٤
قريش تعيد بناء الكعبة	٣٥
كسوة الكعبه فى الجاهلية	٣٩
مكة المكرمة بعد الاسلام	٤١
التوسعة الأولى للبيت الحرام	٤٥
توالى توسعة البيت الحرام وتعميره	
بعد عمر بن الخطاب	٤٥
كسوة الكعبة فى الاسلام وطيبها	٤٩

الموضـــــوع	الصفحـــة
الكسوه فى عهد الأسره السعودية	٥٣
باب الكعبة المشرفة	٦٠
مقام ابراهيم	٦٧
الحجر الأسود	٧٢
بئر زمزم	٧٥
حدود الحرم المكى	٧٨
مكة المكرمة « بلد الأمن »	٨٠
مكة هى الحرم	٨٦
التنمية السعودية الرائده للعاصمة المقدسه	١٠٠
جامعة أم القرى	١٠٩
الرعايه الصحية	١١٢
الإتصالات	١١٣

المجموعة المتحدة للطباعة
٣٩ ش الإخلاص - من ش الفيوم - دار السلام - القاهرة
ت { مطبعة : ٣١٦٠٧٣١
منزل : ٣١٦٨٨١٤

مكة المكرمة ... هذا الكتاب

هذا الكتاب يتحدث عن مكة المكرمة ... المدينة المقدسة الخالدة ... والشعائر المرتبطة بها .

ـ إنه حديث عن مكة فى الزمان والمكان ، وهو حديث عن مكة التى يحج إليها المسلمون ؛ ليؤدوا الركن الخامس من أركان إسلامهم ، أو ليعتمروا سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وارتباط الشعائر بالمكان يوضح أهمية التعرف على المكان بقدر أهمية التعرف على الشعائر .

ويأتى هذا الكتاب محققا هذه الغاية ، فيتحدث عن المكان فى إطار حديثه عن الشعائر ، بعد أن قدم الشعائر تقديما موجزا ؛ ليعرف منها المسلم الأسس الصحيحة لأداء الحج والعمرة ... فى مكة المكرمة حفظها الله ورعاها وزادها تكريما وتشريفا .

ويسر دار الصحوة أن تقدم هذا الكتاب الذى أن يحقق غاية إسلامية وثقافية فى سياق واحد .

د. عبد الحليم عويس

رقم الإيداع ٩٧/١٩٧٧
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-255-131-4